وقفات مع صيام يوم عاشوراء

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠١ السنة الواحدة والخمسون - محرم ١٤٤٣ هـ
الثمن ٥ جنيهات

١٤٤٣هـ

دروس من هجرة نبينا ﷺ

- نهاية عام وقفة محاسبة
- يوم عاشوراء بين السنة والشيعة
- التوكل واليقين في الشدائد خير معين

حرمة
المال العام

نصيحة
حول ملابس
البنات والأمهات

شبهة قسوة
الشريعة
بقتل الكلاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

السلام عليكم

التاريخ الهجري

هو تقويم إسلامي عربي يعتمد على دورة القمر، وهي علامة ظاهرة لتحديد الأشهر.

وتتكون السنة القمرية من اثني عشر شهرًا، وتتكون من ٣٥٤ أو ٣٥٥ يومًا. وهو تقويم إسلامي، قال الله تعالى: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ » (التوبة: ٣٦).

ولم يكن العرب والمسلمون يؤرخون بالسنوات، وإنما كانوا يؤرخون بالحوادث، فيقولون: عام الفجار، عام الفيل، عام سيل العرم، ونحوها.

حتى احتاج المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العام السابع عشر للهجرة أن يؤرخوا بالسنة، فجمعهم عمر رضي الله عنه في ٢٠ من جمادى الآخرة عام ١٧هـ، وسألهم أن يضعوا للناس شيئًا يعرفونه ليؤرخوا به، فاجتمع قولهم على جعل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أول تاريخ للإسلام فأرخوا به.

فلنعتز بتاريخنا الهجري، ولنتمسك به؛ كي نسعد في الدنيا والآخرة.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

الباقيات الصالحات — د. عبد الله شاكر ٣
باب التفسير — د. عبد العظيم بدوي ٥
شهر المحرم أحداث وتأريخ — الشيخ أحمد عز الدين ٨
نهاية عام وقفة محاسبة — الشيخ عبده أحمد الأقرع ١٠
مقالات في معاني القراءات — د. أسامة صابر ١٢
باب الفقه — د. حمدي طه ١٤
حرمة المال العام — د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
دراسات قرآنية — الشيخ مصطفى البصراتي ٢١
فقه المرأة المسلمة — د. عزة محمد رشاد ٢٤
يوم عاشوراء بين السنة والشيعة — الشيخ معاوية محمد هيكل ٢٦
خطورة الغياب عن إصلاح الشباب — د. عماد محمد علي عيسى ٣٠
قانون المعرفة الإسلامي — د. أحمد منصور سبالك ٣٤
واحة التوحيد — د. علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية — د. متولي البراجيلي ٣٨
الميزان في سلوكيات الإنسان — د. عبد الوارث عثمان ٤١
وقفات مع صيام يوم عاشوراء — د. محمد عبد العزيز ٤٤
كتاب عربي علم العالم — أ. محمد محمود فتحي ٤٨
نصيحة حول ملابس البنات والأمهات — د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية — الشيخ علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل — د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
منبر الحرمين — د. ماهر المعيقلي ٦٠
نعم الصاحب العمل الصالح — الشيخ صلاح عبد الخالق ٦٣
شبهة قسوة الشريعة بقتل الكلاب — المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٦٦
دروس من الهجرة — الشيخ صلاح نجيب الدق ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

الباقيات الصالحات

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ذكر الله في كتابه كلمة الباقيات الصالحات في موضعين:

الأول: ما جاء في قوله تعالى: « ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا » (الكهف: ٤٦).

والثاني: قوله تعالى: « وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا » (مريم: ٧٦).

وقد ذهب أئمة التفسير إلى أن الباقيات الصالحات تشمل جميع الطاعات. (انظر: تفسير الطبري: ج١٠/ ١٦٥- ١٦٧، وتفسير ابن كثير: ج٣/١٢٣).

وإن كان أعظمها نفعًا وأكثرها خيرًا الكلمات الأربع الوارد فضلها في كثير من الأحاديث، وهي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، ومعنى الباقيات الصالحات: أنها الأعمال التي يبقى ثوابها ويؤمل أجرها وبرها ونفعها. (انظر: تفسير السعدي: ج٥/٤٤).

وقال الشنقيطي رحمه الله: والمراد من الآية الكريمة تنبيه الناس للعمل الصالح، لئلا يشتغلوا بزينة الحياة الدنيا من المال والبنين عما ينفعهم في الآخرة عند الله من الأعمال الباقيات الصالحات. (أضواء البيان: ج٤/١٠٩).

وهذا فيه ترغيب للعباد أن يطلبوا ما يبقى من أنواع البر والطاعات على ما يفنى ويزول، ولهذا فإني أحببت في مفتتح هذا العام أن أذكر نفسي وإخواني بالباقيات الصالحات للإقبال عليها والاشتغال بها طلبًا لثواب الله ونيل رضاه يوم لقائه، سأذكر هنا أولًا بعض الأحاديث الواردة في فضائل الكلمات الأربع السابق ذكرها، ثم أتبعها -إن شاء الله تعالى- بمعاني هذه الكلمات؛ لأن العبد إذا عرف معنى ما ينطق به أقبل عليه وانشرح صدره له، وإليكم بعض الأحاديث الواردة في ذلك.

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا جُنّتكم، قلنا: يا رسول الله، من عدوّ قد حضر؟ قال: لا، بل جُنتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات وهن الباقيات الصالحات». (أخرجه

الحاكم في المستدرك: ج١/٥٤١، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٢١٤)).
ومعنى خذوا جُنّتكم. أي: ما يستركم ويقيكم من عذاب الجحيم، ويكون ذلك بهذه الكلمات الأربع المذكورة في الحديث، كما جاء في الحديث تسمية هذه الكلمات بالباقيات الصالحات.

الحديث الثاني:

عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: مر بي ذات يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت: فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: «سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة تعدل لك مائة فرس مسرَجة ملجَمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبّري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة». قال ابن خلف: أحسبه قال: «تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد عمل إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به». (مسند أحمد ج٦/٣٤٤، وشعب الايمان للبيهقي ج٢/٣٤١، وحسنه الألباني واسناده كما في الصحيحة ج٣/٣٠٣).

فهذا الحديث العظيم دل على فضل الله ورحمته بهذه الأمة وفضل هذه الكلمات الأربع، حيث جعل هذه الأعمال اليسيرة التي لا تستغرق وقتا ولا جهدا لها هذا الثواب العظيم، فمن قال: سبحانه الله مائة مرة، كانت له كعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن حمد الله مائة مرة، كان كمن تصدق بمائة فرس عليها سراجها ولجامها، بمعنى أنها مُعدّة للجهاد في سبيل الله تعالى، ومن كبّر الله مائة تكبيرة كان له ثواب ما أنفق مائة بدنة مقلدة متقبلة، ومن قال: لا إله إلا الله مائة مرة فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل مثل عمله إلا أن يأتي بمثل ما أتى به.

الحديث الثالث:

عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت». (مسلم ٢١٣٧).

وفي هذا الحديث التصريح بأن هذه الكلمات أحب الكلام إلى الله، وهذا يدل على فضلهن ومكانتهن، وفي هذا المعنى ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم: أن هذه الكلمات أحب إليه مما طلعت عليه الشمس، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس». (مسلم ٢٦٩٥).

وقد أفاد هذا الحديث أن هذه الكلمات أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم مما طلعت عليه الشمس، يعني من الدنيا وما فيها، فكلمات هن أحب الكلام إلى الله، وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما طلعت عليه الشمس، تكون في أعلى الدرجات ومن أنفس وأعظم الكلمات، والحديث أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٦٦٧)، وقال المباركفوري في شرحه: «قوله: أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. أي: من الدنيا وما فيها من الأموال وغيرها، وقيل: يحتمل أن يكون المراد أن هذه الكلمات أحب إلي من أن يكون لي الدنيا فأتصدق بها، والحاصل: أن الثواب المترتب على قول هذا الكلام أكثر من ثواب من تصدق بجميع الدنيا». (تحفة الأحوذي: ج١٠/ ٥٥).

الحديث الرابع:

عن عبد الله بن أبي أوفى قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئا، فعلمني ما يجزئني منه، قال: «قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال: يا رسول الله، هذه لله عز وجل فما لي؟ قال: «قل: اللهم ارحمني وارزقني واهدني». (أخرجه الترمذي في سننه وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي: ج١/١٥٧).

وقد دل الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل هذه الكلمات تجزئ من القرآن في حق من لا يحسنه ولا يستطيع

قراءته.

قال الخطابي رحمه الله: الأصل أن الصلاة لا تجزئ إلا بقراءة فاتحة الكتاب، ومعقول أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لا يحسنها، فإذا كان المصلي لا يحسنها ويحسن غيرها من القرآن، كان عليه أن يقرأ منها قدر سبع آيات، لأنه أولى الذكر بعد الفاتحة ما كان مثلاً لها من القرآن، وإن كان رجل ليس في وسعه أن يتعلم شيئًا من القرآن لعجز في طبعه أو سوء في حفظه، أو عجمة لسان، أو آفة تعرض له، كان أولى الذكر بعد القرآن ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التسبيح والتحميد والتهليل. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الذكر بعد كلام الله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». (انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ج٣/٦٢).

الحديث الخامس:

عن عبد الله بن شداد أن نفرًا من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم: فأسلموا، قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يكفينهم؟». قال طلحة: أنا فكانوا عند طلحة، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثًا فخرج فيه أحدهم، فاستشهد، قال: ثم بعث بعثًا فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيرًا يليه، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما أنكرت من ذلك، ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام: لتكبيره، وتحميده، وتهليله». (مسند أحمد: ج١/١٦٣، وحسنه الألباني في الصحيحة، ج٢/٢٥٧).

وقد دل هذا الحديث على أن العبد المؤمن ينال عند الله أعلى المقامات ورفيع الدرجات، كما يدل على فضل هذه الكلمات المذكورة، وأن من طال عمره وحسن عمله، ولازم ذكر ربه ختم له بالسعادة وأسأل الله إياها.

الحديث السادس:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مما تذكرون من جلال الله: التسبيح والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، تذكر بصاحبها. أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به». (أخرجه أحمد في مسنده: ج٤/٢٦٨، وابن ماجه في سننه وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ج٢/٣٢٠).

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أن هذه الكلمات ينعطفن -أي يملن- حول العرش، ولهن دوي كدوي النحل، وهو ما يظهر من الصوت ويسمع عند شدته وبعده في الهواء، ويكون شبيها بصوت النحل.

الحديث السابع:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن قال: سبحان الله: كتب الله له عشرين حسنة، أو حط عنه عشرين سيئة، ومن قال: الله أكبر: فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة». (مسند أحمد: ج٢/٣٠٢، والحاكم في المستدرك: ج١/٥١٢، وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي).

وقد زاد هنا في ثواب الحمد عندما يقع ابتداءً من قبل نفس العبد؛ لأن الحمد لا يقع غالبًا إلا في مقابل نعمة حدثت، فإذا قاله العبد من قبل نفسه، دون تجدد نعمة حصلت زاد له الأجر والثواب.

فيا أهل الإيمان: هذه بعض ما ورد من فضائل لهذه الكلمات، وهي عظيمة جدًا، تدفع العبد إلى أن يحرص عليها، وأن يداوم على ذكر الله بها؛ لينال رفيع الدرجات عند رب الأرض والسماوات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

الحلقة الخامسة

قال الله تعالى:

«فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾»

(العنكبوت: ٢٤- ٢٩).

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بقية قصة إبراهيم عليه السلام:

انتهينا من الآيات التي جاءت في سباق قصة إبراهيم عليه السلام، وفصلت بين دعوته قومه وما ردُّوا عليه به. ثمَّ عاد السّياق إلى القصَّة، وذكر جواب القوم، فقال تعالى: «فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين × فامن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم × ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين»:

إنجاء الله تعالى إبراهيم عليه السلام من النار:

«فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه» بأيِّ نوعٍ منْ أنْواع الْقتْل، «أو حرقوه» بالنَّار، ثُمَّ اتَّفقُوا على الثَّاني.

وقدْ ذكر بعْض الْمفسّرين في الحطب الَّذي جمعُوهُ، والنَّار الَّتي أوْقدُوها، أقْوالا تدُلُّ على أنَّها كانتْ نارًا حامية، وذكرُوا أنَّهُمْ قيَّدُوهُ، وألْقوْهُ في النَّار مُوثق الْيديْن والرِّجْليْن، والنَّارُ مادَّةٌ مُحْرقةٌ، تأْكُلُ الأخْضر والْيابس، ولكنَّ كلَّ شيْءٍ يجْري بتقْدير الله تعالى ومشيئته، فالله هُو الَّذي خلق الأسْباب، وهُو الَّذي يخْلُق الْمُسبَّبات، فليْس بلازم إذا وُجد السَّببُ أنْ يُوجد الْمُسبَّبُ، كما أنَّهُ قدْ يُوجدُ

المُسَبَّبُ بلا سَبَب، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. لقدْ أرادوا بإبراهيم كيدًا، وأراد الله له عزا ونصرا، «قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ» (الأنبياء: ٦٨-٧٠)، وهنا قال سُبحانه: «قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار» حتى ذكر المُفسِّرون أنَّ النار أحرقت الحبال التي قيَّدوهُ بها دون أنْ تمسَّه، بل لم يؤذه حرها ولا دُخانها، بل رُوي عنه عليه السلام أنَّه أخبر أنَّ تلك الأيام التي قضاها في النار كانت أطيب أيامه وأسعدها، ولذلك قال الله تعالى: «إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون».

وفيه لطيفة: وهي أنَّ الله لما برد النار على إبراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لأبناء جنسه، وقد قال الله للمؤمنين بأن لهم أسوة حسنة في إبراهيم، فحصل للمؤمنين بشارة بأنَّ الله يبرد عليهم النار يوم القيامة، فقال إن في ذلك التبريد لآيات لقوم يؤمنون. (التفسير الكبير ٢٥/ ٥٤).

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين:

«وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين»:

لما أنجى الله إبراهيم عليه السلام من النار عاد إلى دعوة قومه إلى التوحيد، وبيان بُطلان ما هم عليه من الشرك، وأعلمهم أن المودة التي تكون في قلوب بعضهم لبعض بسبب الاجتماع على الباطل مودة مؤقتة، لا تبقى ولا تدوم، ولكنها «مودة بينكم في الحياة الدنيا» فقط، فإذا كان يومُ القيامة «يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا»، كما قال تعالى: «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» (الزخرف: ٦٧)، وقال تعالى: «هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ» (ص: ٥٩-٦١)، وقال تعالى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ» (الأعراف: ٣٧-٣٩).

وقوله: «ومأواكم النار» أي ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار «وما لكم من ناصرين» أي وما لكُمْ أيُّها القومُ المتخذو الآلهة، من دُون الله مودة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يُصليكم نار جهنم، فينقذونكم من عذابه. (جامع البيان: ٢٠/ ١٤٢).

هجرة إبراهيم عليه السلام:

«فامن له لوط» وهو ابن أخيه، أمَّا الملأ من قومه فقد كذَّبوه، وأصرّوا على ما هُم عليه من الشرك، فلما يئس منهم عزم على فراقهم، والبحث عن بيئة جديدة للدعوة لعل الله أن يهدي به آخرين:

«وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم»:

ولا شك أن هجرته عليه السلام كانت بأمر ربه، ولذلك قال: «إني مهاجر إلى ربي» أي إلى الأرض المباركة التي أمرني الله بالهجرة إليها، «إنه هو العزيز» الذي يغلب ولا يُغلب، «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» (الأنعام١٨). وهو «الحكيم» الذي تقوم كل أفعاله وأحكامه، وأوامره ونواهيه على الحكمة.

فلمَّا هجر قومه وداره ووطنه، توجه إلى الله بالدعاء أن يعوضه خيرا مما ترك، «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» (الصافات: ٩٩-١٠٠)، فاستجاب الله له: «ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب»، كما قال تعالى في مناظرة إبراهيم لأبيه: «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)

«وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» (مريم: ٤٨-٥٠).

وممَّا كافأ الله تعالى به إبراهيم عليه السلام «وآتيناه في الدنيا حسنة» ومنه الزوجة الصالحة، والذرية الصالحة، والثناء الحسن الجميل، واتفاق أهل الملل كلهم على محبته، وافتخارهم بالنسبة إليه. «وإنه في الآخرة لمن الصالحين» كما سأل ربه حيث قال: «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ» (الشعراء: ٨٣).

قصة لوط عليه السلام:

«ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين × أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين × قال رب انصرني على القوم المفسدين × ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين × قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين × ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين × إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون × ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون»:

إنكاره عليه السلام على قومه ارتكاب الفاحشة:

«ولوطا» بالنَّصْب، عَلى أنَّهُ مَفْعُولٌ لفعْل محَذُوف تَقْديرُهُ: واذْكُرْ يا نبيَّنا لوطًا عليه السلام «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ»:

الفاحشةُ كلُّ ما عَظُمَ قُبْحُهُ من الأَقوال والأَفعال، وكَثيرًا ما تَرِدُ بمعنى الزِّنا، والمُرادُ بها هنا اللِّواط، وهو أشدُّ قُبْحًا من الزِّنا، لأنَّه شذوذٌ، ومخالفةٌ للفطرة. وكان قومُ لوط أوَّلَ مَنْ فعلها، ولذلك قال لهم: «ما سبقكم بها من أحد من العالمين».

ثُمَّ بيَّنَ المُراد بالفاحشة فقال: «أئنكم لتأتون الرجال»: اتَّفق القُرَّاءُ على قراءة «أئنكم» بهمزة الاستفهام، بخلاف الأُولى، فقرأها بعضُهم بلا استفهام، وقرأها بعضُهم به. «أئنكم لتأتون الرجال»؟! الاستفهامُ للإنكار، فأين عُقولُكم؟! إنَّ وطءَ الزَّوْجِ زوجَهُ -حلالَه- في الدُّبُرِ مُحرَّمٌ، «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ» (البقرة: ٢٢٢)، فكيف تأتون الرِّجال؟! فهذه جريمةٌ ابتدعوها. «وتقطعون السبيل» وهذه جريمةٌ ثانيةٌ، فكانوا يقطعون الطَّريق على المسافرين، ويعتدون عليهم في أموالهم وأعراضهم. «وتأتون في ناديكم المنكر».

بلا حياءٍ من الله، وبلا حياءٍ من النَّاس. وهذه جريمةٌ ثالثةٌ، حيث كانوا لا يستحيون، يأتي بعضُهم بعضًا، وينزوا بعضُهم على بعضٍ في النَّادي -محل الاجتماع- ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ، ولا يُنكِرُ أحدٌ على أحدٍ، وهذه أشدُّ وأقبحُ، لأنَّ المجاهرةَ بالفاحشة تزيدُها فُحشًا، والسُّكوتَ على المُنكَر مُنكَرٌ، وقد قال تعالى: «لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ» (المائدة: ٧٨، ٧٩).

إصرار القوم على ما هم عليه:

«فما كان جواب قومه»؟! ما كان إلا استخفافًا به، واستهزاءً بموعظته، وتجرُّؤًا على الله في استعجال عذابه، «فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين»، وبذلك الإصرار والاستكبار حقَّتْ عليهم كلمةُ العذاب، فلم يجدْ لوط عليه السلام إلا أن يتوجَّه إلى ربه سبحانه بالدعاء:

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

شهر المحرم أحداث وتاريخ

إعداد **أحمد عز الدين محمد**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وبعد:

فلقد جرت أحداث كثيرة في شهر الله المحرم للأمة الإسلامية وسطرتها كتب التاريخ والسير منها:

أولا: نجاة سيدنا موسى عليه السلام ومن آمن معه من فرعون وقومه يوم عاشوراء:

وهو العاشر من المحرم؛ وذلك لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال: «ما هذا؟»، قالوا: يوم صالح نجى الله عز وجل فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. فقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذه عيدا فقال صلى الله عليه وسلم: «صوموه أنتم». متفق عليه.

ثانيا: أمر الصحيفة وشعب أبي طالب المحرم سنة ٧ من البعثة:

وفيه أن قريشا أجمعوا على بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبوا بذلك الصحيفة، وعلقوها في سقف الكعبة ودخل النبي مع أصحابه في الشعب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وقد ضيقوا عليهم ومنعت عنهم الميرة نحو ثلاث سنين، حتى بلغوا الجهد وسمع أصوات بكاء صبيانهم من وراء الشعب.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة مات أبو طالب وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، ولذلك سمي هذا العام بعام الحزن، وقد وُلد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالشعب.

فانظروا أيها الناس كم عانى وتحمل رسول الله عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه من أجل أن تصلنا رسالة الإسلام بيضاء نقية، وكم فرطنا نحن في هذه الرسالة التزامًا وتبليغًا.

ثالثا: سنة ٤هـ سرية أبي سلمة بن عبد الأسد:

علم النبي صلى الله عليه وسلم بتأهب بني صليحة وسلمة ابني خويلد لقتال المسلمين بعد غزوة أحد، فأمر النبي أبا سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه أن يخرج على رأس جيش لقتالهم في ديارهم فباغتهم فتشتتوا في الأمر، وهزموا وعاد المسلمون سالمين غانمين إلى المدينة.

وكانت هذه السرايا بمثابة تدريب ومجسات واستعراض للقوة والعضلات استعدادًا للجهاد والمواجهة.

رابعا: في أواخر المحرم سنة ٧هـ فتح خيبر:

وخيبر آخر حصون اليهود وأكثرها قوة وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد

ثمانين ميلاً من المدينة جهة الشمال ويهود خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة ضد المسلمين فبعد صلح الحديبية كانت خيبر جديرة بالتفات المسلمين ومحاسبتها على تآمرها المتكرر حتى أنهم دبروا لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال المفسرون: إن خيبر كانت وعدًا وعدها الله تعالى بقوله: «وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ» (الفتح: ٢٠)، يعني صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة خيبر، وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين: شطر فيه خمسة حصون. وأما الشطر الثاني: ويعرف بالكتيبة ففيه ثلاثة حصون.

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه وقد حدث أن القتال إنما دار في الشطر الأول منها، أما الشطر الثاني فحصونها الثلاثة مع كثرة المحاربين فيها سلمت دونما قتال. وكانت غنائم خيبر كثيرة والدليل ما عند البخاري عن ابن عمر قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر، وما رواه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر، ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل. رواه مسلم.

لقد أتم الله عز وجل نصره وفتحه على المسلمين بسقوط الحصون الواحد تلو الآخر، وقسم الغنائم والسبايا على كثرتها، وعرض النبي صلى الله عليه وسلم على السيدة صفية بنت حيي وكانت في السبايا حين قتل زوجها كنانة بن أبي الحقيق: عرض عليها الإسلام فأسلمت فأعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة وأولم عليها (بسد الصهباء)، وأقام عليها ثلاثة أيام، وقد هيأتها وجهزتها أم سليم. رواه البخاري. وعنده أيضًا أن النبي أسهم لجعفر بن أبي طالب ومن معه، وقال أبو موسى الأشعري قدمنا فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر، فأسهم لنا وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئًا إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب السفينة مع جعفر وأصحابه، وقسم لهم معنا، وفي زاد المعاد: لما قدم جعفر على النبي تلقاه وقبّل ما بين عينيه، وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر». (المعجم الصغير للطبراني). وفي مثل هذه الفتوح يتحقق ما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين بقوله:" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤). فليتأس أهل الزمن الحاضر.

خامسا: معركة ذات السلاسل:

في المحرم سنة ١٢هـ وقعت معركة ذات السلاسل بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه. وفيها أنه لما فرغ خالد من اليمامة أمره الصديق رضي الله عنه أن يسير إلى العراق رأسًا، وأن يأتيها من أعاليها وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل. فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم. وفي بداية المعركة التي انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد رضي الله عنه على جيوش الفرس بقيادة هرمز، وكانوا أكثر من ستين ألف مقاتل والمسلمون آنذاك ستة عشر ألفًا، وهرمز هذا كان من أخبث الناس طوية وأشدهم كفرًا كان قد دعا خالد للمبارزة فأجابه خالد رضي الله عنه، وقد طلب هرمز من بعض رجاله أن يغدروا بخالد أثناء المبارزة ويقتلوه، ولكن خالد رضي الله عنه تمكن من قتل هرمز الذي لم يستطع جنوده النيل من خالد أثناء المبارزة رغم إحاطتهم به من كل جانب.

وانقض القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه الساعد اليمين لخالد بالجيش على جموع الفرس الذين انهارت معنوياتهم بمقتل قائدهم، وسميت بذات السلاسل: لأن هرمز قيّد جنوده بالسلاسل لكيلا يفروا، وهناك غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص في جماد ثاني سنة ٨هـ أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى قضاعة، وعند عين ماء دارت هناك المعركة.

سادسًا: المحرم سنة ١٦هـ توفيت السيدة مارية رضي الله عنها:

وهي سُرِّية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّ ولده إبراهيم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحشد لجنازتها بنفسه، وصلى عليها ودفنها بالبقيع رضي الله عنها.

إن أحداث المحرم على مر القرون كثيرة جدًا، وفي هذا القدر كفاية، والله الموفق والمستعان.

والحمد لله رب العالمين.

نهايةُ عام: وقفةُ محاسبة

إعداد **الشيخ: عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله، وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعدُ: ففي مستهل كل عام هجري، ومع إشراقة كل سنة يتعين على الكَيِّس اللبيب أن يتذكر أن الليل والنهار يقربان كل بعيد، ويُخلقان كل جديد، قال الله تعالى: « وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا » (الفرقان: ٦٢)، وأن يعلم أنه بين مخافتين: أجل مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقيٍ لا يدري ما الله قاض فيه، وفي مطلع العام تستفتح صفحات بيضَاء لا يدري العبد ما يُسطر فيها، يغدو ويروح إلى أجل قد غُيب عنه علمه، قال الله تعالى: « وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ » (لقمان: ٣٤).

وفي مراحل العمل وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها العبد نفسه فيستثقل ذنبه ويستغفر ربه، ويراجع أعماله، فمن الخير يزداد، وعن التقصير يرجع، ولا يزال العبد على هدى ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همته، فمن راجع نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، فما الأعمال إلا أعوام، وما الأعوام إلا أيام، وما الأيام إلا أنفاس، فحتم على كل عبد آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه، فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها، ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرف فيه قدر الوقت ونفاسته وقيمة العمل الصالح فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر رب العزة سبحانه بموقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار؛ حيث يستدبر الدنيا ويستقبلِ الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، وأُخِر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات. قال الله تعالى: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ » (المؤمنون:

٩٩-١٠٠).

والموقف الثاني: في الآخرة: حيث توفى كل نفس ما عملت وتجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدؤوا من جديد عملاً صالحا.

ولكن: هيهات هيهات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء: «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» (الزمر: ٧٠)؛ قال الله تعالى: «وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» (فاطر: ٣٧).

إذا كان الأمر كذلك، فعلى صاحب البصر النافذ والعقل الواعي أن يتزود من نفسه لنفسه، قال الله تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا» (المزمل: ٢٠)، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا سوى الجنة دار الأبرار أو النار دار الفجار، والخير كله بحذافيره في الجنة فأدلجوا في السير إليها، والشرّ كله بحذافيره في النار، فاجتهدوا في الهروب منها، فهذه وصية من أرسله الله رحمة للعالمين، قال صلى الله عليه وسلم: «ما رأيتُ مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها». (صحيح الجامع: ٥٦٢٢).

فالسعيد من استودع مدة عمره صالحا من عمله، والشقي من شهدت عليه مدة عمره بقبيح زلاته، قال الله تعالى: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنت تعملون» (النمل: ٨٩، ٩٠).

فكل من فرَط في طاعة الله سيأتي عليه اليوم الذي يتحسر فيه على تفريطه، «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (فاطر: ١٤)، قال الله تعالى: «وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (الزمر: ٥٤-٥٨).

فيا عباد الله: ما دمنا جميعًا نوقن بهذا لأن الذي أخبر به هو الله سبحانه وتعالى، «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» (النساء: ٨٧).

ونوقن جميعًا بأن الموت نهاية كل حي في هذه الدنيا، وكأسه تتحساها كل نفس، وأنه خاتمة المطاف، ونهاية التطواف في عالم الدنيا، فإنه يجدر بنا- ونحن نودع عامنا، ونختتم سنة من أعمارنا- أن نقف وقفة حازمة مع نفوسنا، نذكرها بهذه الخاتمة.

قال بلال بن سعد: يقال لأحدنا: تريد أن تموت؟

فيقول: لا، فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحا، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا.

فالواجب المبادرة إلى التوبة وترك التسويف، فإن تأخير التوبة هو-بحد ذاته- ذنب يستحق التوبة، كيف وان المؤمن ليخشى أن يُحال بينه وبين التوبة وهو لا يشعر، فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم؟

وقد حذر المولى- تبارك وتعالى- من ذلك، فقال عز وجل: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (النساء: ١٧، ١٨).

اللهم إنا نسألك أن تجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واختم لنا عامنا هذا بالتوبة النصوح، والعمل المتقبل المبرور إنك ولي ذلك والقادر عليه.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ..

فمع بعض معاني القراءات الواردة في سورٍ من كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة الكهف

قوله تعالى: (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا) الكهف:١.

القراءات: قرأ حفص حال وصل (عوجا) بـ (قيما) بالسكت على الألف المبدلة من التنوين سكتة يسيرة من غير تنفس، والباقون بغير سكت مع إخفاء التنوين في القاف.

وسكتة حفص تبين أن الوقف على (عوجا) وقف تام، فإن (قيما) ليس بتابع في إعرابه لـ(عوجا)، إنما هو منصوب بإضمار فعل تقديره: أنزله قيما (الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٦٤).

قوله تعالى: (وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا) الكهف: ٢٦.

القراءات: قرأ ابن عامر بتاء الخطاب وجزم الكاف على أن (لا) ناهية، والباقون بياء الغيبة ورفع الكاف على أن (لا) نافية.

المعنى: على قراءة ابن عامر خطاب ونهي للإنسان، أي لا تُشْرِكْ أنت أيها الإنسان في حكم ربك أحدًا، وعلى قراءة الجمهور إخبار عن الله عز وجل أنه لا يُشْرِكُ في حكمه أحدا (الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٥/١٤١).

قوله تعالى: (هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ) الكهف:٤٤.

القراءات: (الولاية): كسر الواو حمزة والكسائي وخلف، وفتحها غيرهم. (الحق): قرأ أبو عمرو والكسائي برفع القاف، والباقون بخفضها. المعنى: (الوَلاية) بالفتح: الموالاة لله، كقوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا)، وكقوله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا): فهي الولاية في الدين، و(الوِلاية) بالكسر من الملك والسلطان.

و(الحق) بالخفض نعت لله: والمعنى: هنالك الولاية لله الحق ألوهيته، و(الحقُّ) بالرفع نعت للولاية (تفسير الطبري سورة الكهف: ٤٤).

قوله تعالى: (مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا) (الكهف: ٥١).

القراءات: قرأ أبو جعفر (ما أشهدناهم) على الجمع للعظمة، (وما كنتَ) بتاء الخطاب، والمخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود نفي اتخاذه المضلين أعوانًا على تبليغ الدعوة، وقراءة الجمهور بتاء المتكلم إخبار عن الله عز وجل أنه لا يتخذ المضلين أعوانا وأنصارا (طلائع البشر - محمد الصادق قمحاوي ص١٠٤).

قوله تعالى: (أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا) (الكهف:٥٥).

القراءات: (قبلا) قرأ أبو جعفر والكوفيون بضم القاف والباء (قُبُلا)، وغيرهم بكسر

القاف وفتح الباء (قبلا).

المعنى: معنى (قبَلا) من المقابلة، أي عيانًا، أي يأتيهم العذاب مقابلة يرونه، ومعنى (قُبُلا) جمع قبيل أي يأتيهم العذاب قبيلا قبيلا، أي صنفا صنفا، أي يأتيهم أصنافا مختلفة، ويجوز أن يكون العذاب صنفا واحدا ويأتيهم شيء بعد شيء (الكشف ٢/ ١٧١).

قوله تعالى (تغرب في عين حمئة) الكهف:٨٦.

القراءات: قرأ ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر (حامية) أي حارة وقرأ الباقون (حمئة) أي عين ذات حمئة وهي الطين، ولا منافاة بين معنيهما؛ لأن العين قد تكون حارة لمجاورتها لوهج الشمس عند غروبها، وحمئة في ماء وطين أسود، وقد أعطى الله من الأسباب لذي القرنين ما بلغ به مغرب الشمس حتى رأى الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة أي سوداء (تفسير ابن كثير وتفسير السعدي- سورة الكهف: ٨٦).

قوله تعالى: (لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) (الكهف:٩٣).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (يُفقِهون) بضم الياء وكسر القاف، والباقون بفتحهما، وتحصل من القراءتين أنها عجمة شديدة لا يستطيعون فهم كلام غيرهم، ولا أن يُفهموا غيرهم كلامهم لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم.

(فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) (الكهف:٩٤).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (خراجا) وقرأ الباقون (خرْجا).

المعنى: الخراج أجرة تؤدى في كل شهر أو سنة، والخرج عطية وجُعل يدفع مرة واحدة (الكشف ٢/١٨٣).

ومن سورة مريم

قوله تعالى: (وَقَدْ خَلَقْتُكَ) مريم:٩.

القراءات: قرأ حمزة والكسائي (وقد خلقناك) على لفظ الجمع، وقرأ الباقون (وقد خلقتك) على لفظ الواحد.

المعنى: من قرأ على لفظ الواحد رده على قوله (قال ربك هو على هين)، والقراءة على لفظ الجمع لإرادة التعظيم فإن العرب تخبر عن العظيم القدر بلفظ الجمع، كما أجمعوا على قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) (الحجر:٢٦)، وقوله: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) (الأعراف: ١١) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٩٠).

قوله تعالى: (لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) مريم:١٩.

القراءات: قرأ أبو عمرو ويعقوب وورش وقالون بخلف عنه (ليهب)، وقرأ الباقون (لأهب) وهو الوجه الثاني لقالون. ولحمزة في الوقف عليه تحقيق الهمزة وابدالها ياءً خالصة.

المعنى: على قراءة (لأهب) أسند الفعل إلى جبريل، وتقديره: إنما أنا رسول ربك لأهب أنا لك غلامًا بأمر ربك، فالهبة من الله على يد جبريل. والمعنى على قراءة (ليهب) قد تكون الياء مبدلة من الهمزة للتخفيف فتتحد مع معنى القراءة السابقة، وقد تكون للغيبة والتقدير: إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلامًا (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/١٩١).

(وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) مريم:٢٣.

القراءات: (نسيا) قرأ حفص وحمزة بفتح النون، وغيرهما بكسرها.

المعنى: (نَسيا) من النسيان، و(نِسيا): الشيء الذي يُلقى ولا يُؤبه له كالحبل، والخرقة البالية، وقيل هما لغتان بمعنى واحد (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١٤٢).

قوله تعالى: (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا) مريم: ٢٤.

القراءات: قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر وروح بكسر الميم وجر التاء الثانية (مِن تحْتِها)، والباقون بفتح الميم ونصب التاء (مَن تحْتَها).

المعنى: يجوز في القراءتين أن يكون المنادى جبريل عليه السلام أو عيسى، وعلى قراءة (من تحْتِها) يكون الضمير لجبريل أرجح، ومعنى (تحتها) أسفل من مكانها أو من الجهة المحاذية لها، وعلى قراءة (مَن تحْتَها) يكون الضمير لعيسى أقوى والمعنى كلمها عيسى من موضع ولادته وذلك تحت ثيابها (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/١٩٢، تفسير الطبري- سورة مريم: ٢٤).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

صلاة المسافر

إعداد: د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، تكلمنا في الحلقة الأولى عن صلاة المسافر وما يتعلق بها من أحكام وعن مفهوم السفر، وأنواع السفر فهناك سفرٌ حرام مثل: من يسافر للتجارة في الخمر، وسفر واجب مثل: السفر لأداء فريضة الحج، وسفر مستحب، مثل: السفر لزيارة الأقارب، وسفر مباح، مثل: السفر للتجارة، وسفر مكروه، مثل: سفر الإنسان وحده بدون رفقة وكذلك تحدثنا عن نوع السفر الذي تختص به رخص السفر، وبينا اختلاف العلماء فيها ورجحنا مذهب أبي حنيفة وشيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من العلماء كالثوري والأوزاعي إلى أنه يجوز القصر حتى في السفر المحرم. ونبدأ في هذا اللقاء الحديث عن مسائل أخرى منها.

مشروعية قصر الصلاة في السفر

والقصر: هو اختصار الصلاة الرباعية إلى ركعتين.

والصلاة قصرًا ينال صاحبها ثواب الصلاة الرباعية، وشرع الله تعالى قصر الصلاة في السفر في كتابه، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال تبارك وتعالى: « وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا » (النساء: ١٠١).

والقصر جائز سواء في حالة الخوف أو الأمن، لكن تعليق القصر على الخوف في الآية، كان لتقرير الحالة الواقعة؛ لأن غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم لم تخل منه. فعن يعلى بن أمية قال « قلت لعمر بن الخطاب: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، فقد أمن الناس. فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » رواه مسلم.

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى آمن ما كان الناس وأكثره ركعتين» رواه مسلم.

وفي رواية أخرى لمسلم بلفظ: «صليتُ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى والناس أكثر ما كانوا، فصلى ركعتين في حجة الوداع».

وعن أمية بن عبد الله بن خالد أنه قال لعبد الله بن عمر: إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر. فقال له عبد الله: إن الله بعث إلينا محمدًا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئًا فإنما نفعل كما رأينا محمدًا صلى الله عليه وسلم يفعل. رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني.

والذي ثبت في سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة، والذي لم يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم سواها مطلقًا، أنه كان يصلي صلاة السفر ركعتين لا يزيد عليهما ألبتة، ما عدا صلاتي الفجر والمغرب وهذا ما داوم عليه في جميع أسفاره، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم-وهم أحرص الناس على الثواب- كانوا يقصرون دومًا في السفر، وقد اتفقت عليه الأمة. فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «... إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت عمر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، ثم صحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله...» رواه البخاري ومسلم.

وعن يحيى بن أبي إسحاق قال: سمعت أنسًا رضي الله عنه يقول: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، قلت: أقمتم بمكة شيئًا، قال: أقمنا بها عشرًا. رواه البخاري، ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وجعلوا يسألونه عن الصلاة في السفر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا خرج من أهله لم يزد على ركعتين حتى يرجع. أخرجه أحمد ٢٥٧٥، ١/٢٨٥، وابن ماجه وإسناده صحيح.

وعن أبي نضرة قال: قام شاب إلى عمران بن حصين قال: فأخذ بلجام دابته فسأله عن صلاة السفر، فالتفت إلينا فقال: إن هذا الفتى يسألني عن أمر، وإني أحببت أن أحدثكموه جميعًا: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات، فلم يكن يصلي إلا ركعتين حتى يرجع المدينة. زاد زياد بن أيوب: وحججت معه، فلم يصل إلا ركعتين حتى يرجع إلى المدينة، وقالا: أقام بمكة زمن الفتح ثمانية عشر ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ثم يقول لأهل مكة: صلوا أربعًا فإنا قوم سفر، وغزوت مع أبي بكر وحججت معه، فلم يكن يصلي إلا ركعتين حتى يرجع، وحججت مع عمر حجات، فلم يكن يصلي إلا ركعتين حتى يرجع، وصلاها عثمان سبع سنين من إمارته ركعتين في الحج حتى يرجع إلى المدينة ثم صلاها بعدها أربعًا. رواه أحمد وأبو داود ١٢٢٩، قال في التلخيص: حسنه الترمذي لشواهده. والحديث صحيح لغيره.

وأجمع أهل العلم على أن من سافر سفرًا تقصر في مثله الصلاة في حج أو عمرة أو جهاد أن له أن يقصر الرباعية فيصليها ركعتين. (المغني لابن قدامة ٢/٨٧).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما في السفر فقد سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبًا من ثلاثين سفرة، وكان يصلي ركعتين في أسفاره، ولم ينقل عنه أحد من أهل العلم أنه صلى في السفر أربعًا قط، حتى في حجة الوداع، وهي آخر أسفاره كان يصلي بالمسلمين بمنى ركعتين ركعتين، وهذا من العلم العام المستفيض المتواتر الذي اتفق على نقله جميع أصحابه، ومن أخذ العلم عنهم" مجموع الفتاوى: ٢٢/٧٨.

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان يَقصُر الرُّباعية، فيصليها ركعتين من حين يخرُج مسافرًا إلى أن يرجع

إلى المدينة، ولم يثبُت عنه أنه أتم الرُباعية في سفره البتة). انظر زاد المعاد: ١٦٨/١.

(٣) كما ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صلى بعد الهجرة صلاة رباعية فسلم على رأس ركعتين، ثم التفت إلى القوم فقال: يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر. أخرجه مالك ٣١٥، إسناده صحيح.

والذي يقصر إجماعًا: هو الصلاة الرباعية من ظهر وعصر وعشاء، دون الفجر والمغرب. قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن لا يُقصر في صلاة المغرب والصبح، وأن القصر إنما هو في الرباعية ولأن الصبح ركعتان فلو قصرت صارت ركعة وليس في الصلاة ركعة إلا الوتر والمغرب وتر النهار فلو قصر منها ركعة لم تبق وترًا، وإن قصرت اثنتان صارت ركعة فيكون إجحافًا بها وإسقاطا لأكثرها. (المغني لابن قدامة ١٠٨/٢).

حكم قصر الصلاة

تباينت آراء الفقهاء في حكم قصر الصلاة، فمنهم من ذهب إلى أن القصر فريضة واجبة، ومنهم من ذهب إلى أن قصر الصلاة رخصة إن شاء أتم وإن شاء قصر، ومنهم من ذهب إلى أن القصر هو سنة مؤكدة مثل الجماعة، فذهبوا بذلك إلى مذاهب عدة إليك بيانها:

المذهب الأول:

ذهب الكوفيون سفيان الثوري، والحسن بن حيي والإمام أبو حنيفة وأصحابه، وأهل الظاهر، ووافقهم القاضي إسماعيل من المالكية، وهي رواية عن مالك، وهو قول عمر بن عبد العزيز، وحماد بن أبي سليمان، وطائفة، إلى أن القصر واجب في السفر فرضا.

قال ابن عبد البر: من ذهب إلى أن الركعتين في السفر فرض أبطل صلاة من أتم الصلاة في السفر عامدًا، أو رأى الإعادة عليه واجبة ركعتين، على أنهم اختلفوا في ذلك، فقال الثوري: إن قعد المسافر في اثنتين لم يعد.

وقال حماد بن أبي سليمان: إذا صلى المسافر أربعًا متعمدًا أعاد وإن كان ساهيًا لم يعد، وقال الحسن بن حيي: من صلى في السفر أربعًا متعمدًا أعاد إذا كان ذلك منه الشيء اليسير، فإن طال ذلك في سفره وكثر لم يُعد، وقال أبو حنيفة وأصحابه: في المسافر يصلي أربعًا عامدًا بطلت صلاته، وعليه الإعادة ركعتين، وإن صلاها ساهيًا فإن قعد في اثنتين فقرأ التشهد قضيت صلاته، وإن لم يقعد فصلاته فاسدة. انظر الاستذكار لابن عبد البر: ٢٢٢/٢-٢٢٣.

وقال ابن حزم رحمه الله تعالى: ولم يخص عليه الصلاة والسلام سفرًا من سفر بل عم فلا يجوز تخصيص ذلك، ولم يجز رد صدقة الله تعالى التي أمر عليه الصلاة والسلام بقبولها، فيكون من لا يقبلها عاصيًا. المحلى ١٩/٣.

المذهب الثاني:

ذهب أصحاب المذهب الثاني على أنها رخصة إن شاء قصر وإن شاء أتم، وهو قول بعض أصحاب مالك، وأصحاب الشافعي، وأصحاب أحمد. وقول الشافعي على الصحيح، وقول أحمد في إحدى الروايتين: إن القصر أفضل.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: "والكتاب يدل على أن القصر بلا خوف رخصة من الله عز وجل لا لأنه حتم عليهم أن يقصروا، كما كان ذلك في الخوف والسفر". الأم: ٣٥٦/٢.

المذهب الثالث:

ذهب أصحاب المذهب الثالث على أنها سنة مؤكدة آكد من الجماعة والإتمام مكروه، وهو أرجح الأقوال، وهو قول مالك في إحدى الروايتين وهو أشهر الأقوال عنه، وأحمد في الرواية الأخرى، وهذا ما رجَّحه ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهم الله، وجمع كثير من المتأخرين.

قال ابن رشد: (ومذهب مالك رحمه الله وأصحابه الذين تأتي عليه مسائلهم، ومسائله أن قصر الصلاة في السفر سنة من السنن التي يكون الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيرها خطيئة، فلذلك قال: إنه لا ينبغي لهم أن يقدموا مقيمًا يتم بهم الصلاة؛ لأن فضيلة السُنة في القصر أكثر من فضيلة الجماعة). انظر مواهب الجليل: ١٥١/٢.

ونفصل في اللقاء القادم إن شاء الله هذه المذاهب وأيها أرجح.

باب السنة

الحلقة الثانية

حرمة المال العام

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق

نائب المشرف العام

الحمد لله ذي العزة والجلال، تفرد بأسمائه الحسنى وصفات الكمال، جعل من كليات الشريعة بعد الدين حفظ النفس والعقل والعرض والمال، وصلى الله وسلم على رسوله ما خطر على بال وبعد :

فعن أبي حُميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يُقال له: ابن اللُّتْبيَة - قال عمرو وابن أبي عمر: على الصدقة -فلمّا قدم، قال: هذا لكم، وهذا لي أُهْدِي لي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال العامل نُبعثه فيأتي، فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلاّ جلس في بيت أبيه وأُمّه، فينظر أيُهْدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر»، ثم رفع يديه؛ حتى رأَيْنا عُفْرتي إبطيه: «ألا هل بلّغت؟!» ثلاثًا؛ قال سفيان: قصّه علينا الزُّهْري، وزادَ هشام: عن أبيه عن أبي حميد قال: «سَمِع أذناي، وأبْصَرتْه عيني، وسَلُوا زيد بن ثابت؛ فإنه سَمِعه معي، ولم يَقُل الزُّهْري: سَمِع أُذُني».

تخريج الحديث من الكتب الستة :

١- رواه البخاري (٣/ ٤٢٨/ ١٥٠٠)، ولفظه: «رجلاً من الأسْد»، وفيه أيضًا: «فلمّا جاء، حاسبه»، وفي (١٣/١٧٥/٧١٧٤) باللفظ المذكور أعلاه.

٢- ومسلم (٦/١١)، وفيه: «رجلاً من الأسد».

٣-وأبو داود (٢٩٤٦) (كلُّهم من طُرق عن ابن عُيينة، وشُعيب، ومعْمر عن الزُّهري عن عُروة عن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه).

تعريف مختصر بالصحابي الراوي:

أبو حُميد الساعدي: الصحابي المشهور، اسمه: عبدالرحمن بن سعد، ويُقال: عبدالرحمن بن عمرو بن سعد، وقيل: المنذر بن سعد بن المنذر، وقيل: اسم جَدِّه مالك، وقيل: هو عمرو بن سعد بن المنذر بن سعد بن خالد بن ثعلبة بنِ عمرو، ويقال: إنه عمّ سهل بن سعد، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عِدَّة أحاديث، وله

ذكر معه في الصحيحين.

قال خليفة وابن سعد وغيرهما: شهد أُحدًا وما بعده، وقال الواقدي: تُوفِّي في آخر خلافة معاوية، أو أوَّل خلافة يزيد ابن معاوية في المدينة المنورة (ينظر: سِيَر أعلام النُّبلاء؛ للذهبي (٤٨١/٢). الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر (٤/٤٦)، وتهذيب الكمال؛ للمزي (٧٣٢٩/٢٦٤/٣٣)

بعض مفردات الحديث:

١- الأزْد بفتح الهمزة: قبيلة من بطون قحطان.

بني أسْد: بفتح الهمزة وسكون السين المهملة؛ قال ابن حجر: «ثم وَجَدت ما يُزيل الإشكال إن ثبتَ، وذلك أنَّ أصحاب الأنساب ذكروا أن في الأزْد بَطنًا يُقال لهم: بنو أسَد بالتحريك، يُنسبون إلى أسد بن شُريك -بالمعجمة مُصغرًا- ابن مالك بن عمرو بن مالك ابن فَهْم، وبنو فَهْم بطنٌ شهير من الأزْد،... فيَصح أن يُقال فيه: الأزْدي بسكون الزاي والأسْدي بسكون السين وبفَتْحها من بني أسَد بفتْح السين، ومن بني الأزْد أو الأسْد بالسكون فيهما لا غير....». اهـ.

> هدايا العمال من المال العام من المحرم الذي حرم سدًّا للذريعة.

٢- ابن اللُّتْبيَّة: بضمِّ اللام وسكون التاء فوْقها نقطتان، وقد تُفتح نسبة إلى بني لتْب قبيلة معروفة.

قال ابن حجر: «وقال عياض: ضَبَطه الأصيلي بخطِّه في هذا الباب بضمِّ اللام وسكون المُثنَّاة، وكذا قيَّده ابن السكن، وقال: وهو الصواب، وكذا قال ابن السمعاني: ابن اللُّتْبية بضمِّ اللام وفتْح المُثناة، ويقال بالهمز بدل اللام، وقد تقدَّم أن اسْمه عبدالله، واللُّتْبية أمُّه، لَم نَقف على تسميتها» . (فتح الباري؛ لابن حجر (١٧٦/١٣)).

٣- الخُوار: صوت البقرة.

٤- الرُّغاء: صوت الإبل.

٥- العُفرة: بياض مشوب بالسُّمْرة.

٦- تَيْعَر: تصيح وتصوت صوتًا شديدًا، وهو صوت الشاة (ينظر: مفرداته في جامع الأصول في أحاديث الرسول؛ لابن الأثير (٤/٦٤٦)).

شرح الحديث مختصرا:

في هذا الحديث يعلمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم حرمة هدايا العمال، وأنها من المال العام المحرم؛ إذ في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل صحابيًّا جليلاً أمينًا من أصحابه على جمع الصدقات؛ فقام بمهمته على الوجه الأكمل الأتم، غير أنه تعرَّض لشبهة لم يكن يعرفها إذ لم يكن قد تعرض لها من قبل؛ ألا وهي حرمة هدايا العمال ومن استعملهم أولياء الأمور في أعمال المسلمين؛ وذلك سدًّا للذريعة؛ إذ قد تكون مظنة المجاملة حتى ولو لم تقع المجاملة. وقصة الحديث أن هذا الصحابي الجليل وهو رجل من بني لتيب بعدما جمع الصدقات التي كُلِّف بها أتى بها أمينًا عليها غير أنه جنب ما

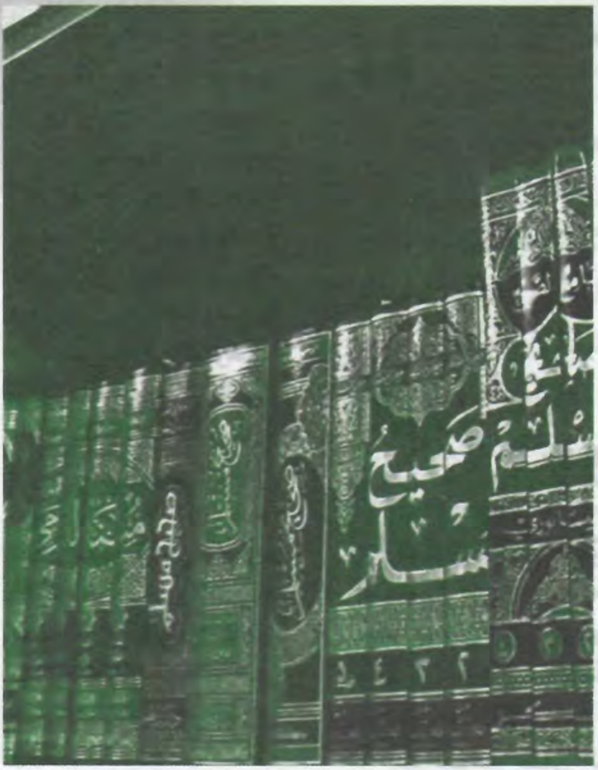

> إجماع التابعين دليل على تحريم الهبات والهدايا إن كانت بسبب قرض.

خص به من الهدايا الخاصة له وأخبر بها الصحابة، فقال: هذا هو مال المسلمين لكم وهذا الذي أهدي إلي بعيدًا عن حق المسلمين فأخبر بذلك رسول الله فلم يكن له تأخير للبيان عن وقت الحاجة؛ فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم بيَّن صلى الله عليه وسلم حرمة هذا، وأنه ما أهديت هذه الهدايا للعامل إلا بسبب عمله وأنه لو جلس في بيته وسط أهله لم يكن لأحد أن يهدي إليه.

ثم حذر صلى الله عليه وسلم من شدة الحرمة وأنها من الكبائر وأن المغتصب لهذه الهدايا هو مغتصب لمال عام ويأتي يوم القيامة معذبًا مفضوحًا بها متحملاً على قدر ما اغتصب؛ جملاً كان أو بقرة أو شاة قليلاً أو كثيرًا، ثم تشدد الصادق المصدوق في إشهاد أصحابه حتى رئيت عفرة إبطيه. (مستفاد من فتح الباري؛ لابن حجر (١٣/١٧٨ - ١٧٩)، وشرح صحيح البخاري»؛ لابن بطال (٣/٥٥٦ - ٥٥٧).

مما يستفاد من الحديث:

١- حرمة هدايا العُمَّال والوُلاة والقضاة وأنها سُحتٌ؛ إذ هي بسبب سلطانهم، وهي ذريعة للمجاملة وتضييع الحقوق، وأنها إذا أخذت توضع في بيت مال المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في (بيان الدليل على بطلان التحليل (ص/٢١٧)؛ ومَن تأمَّل حديث ابن اللُّتبية وحديث أنس، وحديث عبدالله بن عمرو، وحديث ابن عباس، وما في معناهما من آثار الصحابة التي لم يَختلفوا فيها، عَلِم ضرورة أنَّ السُّنة واجماع التابعين دليلٌ على أن التبرُّعات من الهبات

والمحابيات ونحوهما، إذا كانتْ بسبب قرْض، أو ولاية، أو نحوهما، كان القرْض بسبب المحاباة في بيع أو إجارة، أو مُساقاة أو مضاربة، أو نحو ذلك، عوضًا في ذلك القرْض، والولاية بمنزلة المشروط فيه، وهذا يَجتثُّ قاعدة «الحيَل الرِّبوية والرشويَّة»، ويدلُّ على حيَل السِّفاح وغيره من الأمور، فإذا كان إنما يفعل الشيء لأجْل كذا، كان المقصود بمنزلة المنطوق الظاهر، فإذا كان حلالاً كان حلالاً، وإلاَّ فهو حرام، وهذا لما تقدَّم من أنَّ الله سبحانه إنما أباحَ تعاطي الأسباب لِمَن يَقصِد بها الصلاح». اهـ.

٢- مشروعية إلقاء الخطبة لأمور مهمَّة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هدي معطَّل.

٣- مشروعيَّة مُحاسبة المُؤْتَمَن، وأنَّ المحاسبة تعينه على الصواب وليست طعنًا فيه، وأنه لا حرج في ذلك يا أيها المسئول الحبيب إذ كلكم راعٍ وكلكم مسؤول.

٤- فيه وجوب سد الذرائع وقطع الطرق على كل حرام.

> اتفق العلماء على أن العاملين على الصدقات لا يستحقون على قبضها سبعًا أو ثمنًا وإنما للعامل بقدر عمالته.

٥-وفيه أنَّ مَن رأى متأوِّلاً أخطأ في تأويلٍ يَضرُّ مَن أخَذ به، أن يُشهر القول للناس، ويُبيِّن خطأه؛ ليحذِّر من الاغترار به.

٦- في قوله صلى الله عليه وسلم: «هلاَّ جلس في بيت أُمِّه أو أبيه، فيَنظر يُهْدى إليه أم لا»، دليلٌ على أنَّ كلَّ أمرٍ يُتَذرَّع به إلى محظور، فهو محظور، ويدخل في ذلك القرْض يجرُّ المنفعة، والدار المرهونة يَسكنها المُرتهن بلا كراء، والدابَّة المرهونة يَرْكبها ويرتفق بها من غير عوض، وكل دخيل في العقود يُنظر: هل يكون حُكمه عند الانفراد كحُكمه عند الاقتران.

٧- هذا الحديث حُجة على اتفاق العلماء أنَّ العاملين عليها هم السُّعاة المتولون لقبْض الصدقة، وأنهم لا يستحقون على قبْضها جزءًا منها معلومًا سبعًا أو ثمنًا، وإنما للعامل بقدْر عمالته على حسب اجتهاد الإمام.

٨- في الحديث رعاية للمقاصد رغم حمل الأمور على المقاصد الحسنة إذ لم يغتر الناظر للمسميات البراقة (هدية، إكرامية، نحو ذلك...). ونظر إلى مقاصدها.

٩- في الحديث حَثٌّ على أداء الأمانة في جميع الأمور، لا سيَّما فيما يتعلَّق بحقوق الناس.

١٠- الحث على اختيار العُمَّال والموظفين المخلصين من أهل الأمانة.

١١- الحَثُّ على اتِّصاف الموظف بالعفَّة والسلامة من أخْذ الرِّشوة والهَدية.

١٢- مشروعية رفْع اليدين في الدعاء. (ينظر: بعض الشروح على صحيح البخاري : فتح الباري؛ لابن حجر (١٧٨/١٣- ١٧٩)، و«شرح صحيح البخاري»؛ لابن بطال (٥٥٦/٣ – ٥٥٧)).

وفي هذا القدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

تمثيل طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

ففي هذا العدد نستكمل الكلام حول المثل السابق من الأمثال القرآنية وهو في الآية الخامسة والستين من سورة الصافات وهي في قوله تعالى: « طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ » (الصافات: ٦٥).

«إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» بين سبحانه وتعالى أوصاف هذه الشجرة ردًا على منكريها فقال: «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» أي في قعرها وما ظنك بهذه الشجرة النارية التي تخرج في أصل الجحيم، فيكون لمنبتها أثر فيها؛ لأن المنبت يؤثر على النابت حتى إن النوع الواحد إذا غرس في هذه الأرض اختلف عما إذا غرس في أرض أخرى وهو نوع واحد، هذه الشجرة التي تخرج في أصل الجحيم سوف يكون لمنبتها أثر فيها.

ولهذا قال الله عز وجل: «فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» ولم يقل: في الجحيم، ليبين أنها عميقة الجذور- والعياذ بالله- في النار.

«طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» من عجيب قدرة الله تعالى أن جعل من النار شجرة وهي نارية لا محالة صور الله في النار شجرة من النار، وتقريب ذلك ما يصور في الشماريخ النارية من صور ذات ألوان كالنخيل ونحوه.

وجعل لها طلعًا، أي ثمرًا، وأطلق عليه اسم الطلع على وجه الاستعارة تشبيهًا له بطلع النخلة لأن اسم الطلع خاص بالنخيل.

قال ابن عطية: عن السدى ومجاهد قال الكفار: كيف يخبر محمد عن النار أنها تنبت الأشجار، وهي تأكلها وتذهبها، فقولهم هذا ونحوه من الفتنة لأنه يزيدهم كفرًا وتكذيبًا.

« رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ » يجوز أن يكون مرادًا بها رءوس شياطين الجن جمع شيطان بالمعنى المشهور ورؤوس هذه الشياطين غير معروفة لهم، فالتشبيه بها حوالة على ما تصور لهم المخيلة، وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوصف للناس فظيعًا بشعًا، وشبهت بشاعته ببشاعة رءوس الشياطين، وهذا تشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول، كتشبيه الإيمان بالحياة في قوله تعالى: « لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا » (يس: ٧٠)، والمقصود منه هنا تقريب حال المشبه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف

ولا كون المشبه كذلك.

وقيل: أريد برؤوس الشياطين ثمر الاستن، والاستن (بفتح الهمزة وسكون السين وفتح التاء) شجرة في بادية اليمن يشبه شخوص الناس ويسمى ثمره رءوس الشياطين، وانما سموه كذلك لبشاعة مرآة ثم صار معروفا، فشبه به في الآية.

وهذه الصفات التي وصفت بها شجرة الزقوم باللغة حدًا عظيمًا من الذم وذلك الذم هو الذي عبر عنه بالملعونة في قوله تعالى: «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» (الاسراء: ٦٠)، وكذلك في آية «إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ» (الدخان: ٤٣- ٤٦).

وقد أنذروا بأنهم آكلون منها إنذارًا مؤكدًا، أي آكلون من ثمرها وهو ذلك الطلع وضمير «منها» للشجرة جرى على الشائع من قول الناس أكلت من النخلة، أي من ثمرها، والمعنى: أنهم آكلون منها كرهًا وذلك من العذاب، واذا كان المأكول كريهًا يزيده كراهة سوء منظره.

«فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ» (فإنهم) أي: الكفار (لآكلون منها) مع قبحها لشدة جوعهم، والجملة هنا اسمية مؤكدة بـ (إن) و(اللام) لإفادة أن أكلهم مستمر، لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار وأكدت بـ (إن) و(اللام) للدلالة على أنهم يأكلون منها أكلًا مؤكدًا مع أنها قبيحة المنظر، كريهة الطعم والرائحة، لكن- والعياذ بالله- الجوع الشديد يضطرهم إلى أن يأكلوا منها قصرًا من غير شهوة ومن غير لذة، لكن لملء بطونهم فقط، وأكد أكلهم منها لئلا يقول قائل: إنها ما دامت على هذا الوصف فلن يأكل منها أحد، ومع ذلك فإن الإنسان لو كان في الدنيا ربما يفضل الموت على الأكل من هذا، لكن في النار يعذبون بالأكل منها.

«ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ» (ثم) حرف عطف يدل على الترتيب والتراخي، مما يدل على أنهم إذا أكلوا عطشوا، واذا عطشوا لا يأتيهم الماء في الحال، بل يأتيهم بعد مهلة بينها الله عز وجل بقوله: «وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ» (الكهف: ٢٩)، فهم ليسوا إذا أكلوها وعطشوا بها أعطوا الماء بسرعة، بل يستغيثون ويدعون أن يأتيهم ماء يبرد عليهم لهيب العطش، ولكن إذا أعطوا هذا الماء يعطونه شوبًا من حميم يعني ماءًا حارًا حرارة عظيمة. والشعوب: وهج النار.

وهذا الوهج بينه الله في الآية المذكورة آنفًا إذا قرب الماء من وجوههم ليشربوه شوى وجوههم- والعياذ بالله- فإذا شربوه فإن أمعاءهم تستقبله لكنها تتقطع به «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» (محمد: ١٥) كل هذا سيكون ولهذا يجب علينا إذا قرأنا مثل هذه الآيات أن نشعر بأن هذا هو علم اليقين وأن سيكون حق اليقين.

«ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ» قال ابن كثير: أي: ثم مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج، وجحيم تتوقد، وسعير تتوهج، فتارة في هذا، وتارة في هذا، كما قال تعالى: «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» (الرحمن: ٤٤). اهـ. (المعنى التفصيلي مستفاد من - «فتح القدير» للشوكاني- و«التحرير والتنوير» لابن عاشور، و«تفسير ابن كثير» و«تفسير» ابن عثيمين بتصرف).

فوائد الآيات:

١) التهكم بعقول هؤلاء الذين يفضلون عمل الدنيا على عمل الآخرة أي أن المذكور من أوصاف نعيم الجنة وطيباتها في القرآن خير ضيافة أم شجرة الزقوم، ولاشك أن الجواب عند كل إنسان أن يقول: ذلك خير.

٢) القدح والثناء بالسوء على هذه الشجرة، لأنه وصفها بأنها شجرة زقوم يتزقمها الإنسان تزقمًا يعني يبتلعها ابتلاعًا مكروهًا، لأنها -أي هذه الشجرة- كريهة المنظر، مرة الطعم، قبيحة الرائحة، ولهذا يكرهونها لكن لضرورتهم إليها وشدة جوعهم يأكلونها.

٣) من الفوائد إطلاق الظلم على الكفر في قوله تعالى: «إنا جعلناها فتنة للظالمين» والمقصود بالظالمين في الآية كفار مكة، ومع أن الظلم أعم من الكفر، ولكن المراد به هنا الظلم المطلق الذي أشار الله إليه في قوله: «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (البقرة: ٢٥٤). فالظلم المطلق هو ظلم الكافر، والظلم المقيد هو ظلم الفاسق، فالمعاصي ظلم

لكنها ظلم مقيد، فمثلًا يقال: هذا ظالم نفسه بأكل الربا، وهذا ظالم نفسه بفعل الزنا، وهذا ظالم نفسه بالاعتداء على الخلق، وهكذا، أما الظلم المطلق فهو ظلم الكافر، لأن الكافر- والعياذ بالله- لم يأت بعدل إطلاقًا حتى يقال: إن ظلمه مقيد.

٤) بيان قدرة الله عز وجل حيث خلق هذه الشجرة في وسط النار مع أن المعروف أن النار تحرق الأشجار، ولكن الله على كل شيء قدير فها هي نار إبراهيم عليه السلام تحرق الأجسام بلا شك، ولكن لما قال الله لها: «كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ» (الأنبياء: ٦٩)، لم تحرقه، بل كانت بردًا وسلامًا عليه.

٥) ومن فوائدها: أن هذه الشجرة تنتشر أما أغصانها- كما قال بعض أهل العلم- أو أنواعها في النار كلها، لأن الله أخبر أن أهل النار يأكلون منها، ومعلوم أن النار دركات بعضها أسفل من بعض، فيلزم من ذلك أن تكون هذه الشجرة إما ذاتها ومنتشرة أغصانها، وإما نوعها موجودًا في جميع النار.

٦) ومن فوائدها ما قاله الطبري: فإن قائل: وما وجه تشبيه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم، ولا رءوس الشياطين ولا كانوا رأوهما، ولا واحدًا منهما؟

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: «شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ‌٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فلم يتركهم في عماء منها.

وأما في تمثيله طلعها برءوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم.

أحدها: أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهما المبالغة في تقبيح الشيء قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال.

والثاني: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانًا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر.

والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس. اهـ. الطبري.

٧) ومن فوائدها : إثبات اللام منها على سبيل التأكيد لقوله: «فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا» والجملة هنا اسمية مؤكدة بـ (إن) و(اللام) لإفادة أن أكلهم مستمر، لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار وأكدت بـ (إن) و(اللام) للدلالة على أنهم يأكلون منها أكلًا مؤكدًا مع أنها قبيحة المنظر، كريهة الطعم والرائحة، ومع ذلك فإن الإنسان لو كان في الدنيا ربما يفضل الموت على الأكل من هذا، لكن في النار يعذبون بالأكل منها. (الفوائد مستفادة من: تفسير الطبري، وتفسير ابن عثمين. بتصرف)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفيت إلى رحمة الله تعالى حماة الدكتور: عبد الله صفوت نور الدين. ابن فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين الرئيس العام الأسبق لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر. اللهم اغفر لها وارحمها، وعافها، واعف عنها، وأكرم نزلها، واغسلها بالثلج والماء، والبرد. اللهم أبدلها دارًا خيرًا من دارها وأهلاً خيرًا من أهلها اللهم جازها بالإحسان إحسانًا وبالسيئات عفوًا منك وغفرانًا.

أحكام متعلقة بفقه النكاح

المحرمات من النساء

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن وليمة العرس وحكمها، وجواز الوليمة دون ذبح، وحكم إجابة الداعي إلى وليمة العرس، وما يقول الرجل عند الزواج، وما يقول الرجل إذا أتى أهله، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

أولًا: المحرمات من النساء:

المحرمات تحريمًا مؤبدًا: وهن النساء اللائي يحرمن على الرجل تحريمًا مؤبدًا فلا يحل له الزواج بإحداهن في جميع الأوقات، وهن:

(١) المحرمات من النسب.

(٢) المحرمات من الرضاع.

(٣) المحرمات بسبب المصاهرة.

وقد نص القرآن على تحريم هؤلاء النسوة على الرجل تحريمًا مؤبدًا، وهن المذكورات في الآية.

قال تعالى: « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ » (النساء: ٢٣).

أولًا: المحرمات من النسب:

المحرمات من النسب سبع وهن:

١- الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت.

قال تعالى: « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ » (النساء: ٢٣).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٥٣/١): هذه الآية هي آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر. عن ابن عباس قال: «حرمت عليكم سبع نسبًا وسبع صهرًا وقرأ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ الآية- أخرجه البخاري (٥٠١٥).

قال الشافعي في الأم (٢٢١/٥): فالأمهات: أم الرجل وأمهاتها وأمهات آبائه وإن بعدن الجدات، لأنه يلزمهن اسم الأمهات.

والبنات: بنات الرجل لصلبه، وبنات بنيه وبناته وإن سفلن، فكلهن يلزمهن اسم البنات.

والأخوات: من ولد أبوه لصلبه أو أمه بعينها.

وعماته: من ولد جده وجدته ومن فوقهما من أجداده، وجداته.

وخالاته: من ولدته جدته أم أمه ومن فوقها من جداته من قبلها.

وبنات الأخ: كل من ولد الأخ لأبيه أو لأمه أو لهما ومن ولد ولده وأولاد بني أخيه وإن سفلوا.

وهكذا بنات الأخت.

وقد نقل ابن حزم الإجماع على هذا في مراتب الإجماع (ص: ١١٩ - ١٢٠).

ثانيا: المحرمات من الرضاع:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب جماهير العلماء: الأئمة الأربعة وابن حزم وغيرهم إلى أن ما يحرم بالنسب يحرم بالرضاعة.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «جَاءَ عَمِّي مِنَ الرَّضَاعَةِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيَّ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّهُ عَمُّكِ فَأْذَنِي لَهُ قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا أَرْضَعَتْنِي الْمَرْأَةُ وَلَمْ يُرْضِعْنِي الرَّجُلُ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ عَمُّكِ فَلْيَلِجْ عَلَيْكِ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ضُرِبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ»- أخرجه البخاري (٥٢٣٩).

- وفي رواية «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»- أخرجه أحمد في المسند (٣١٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٩٧/١٠).

٢- وعن عمرة أن عائشة أخبرتها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عِنْدَهَا وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أُرَاهُ فُلَانًا لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا لِعَمِّهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ دَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ»- أخرجه البخاري (٢٦٤٦) ومسلم (١٤٤٤).

وجه الدلالة: دلت هذه الأحاديث على أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

القول الثاني: ذهب داود الظاهري ومن وافقه، إلى أنه لا تثبت حرمة الرضاع بين الرجل والرضيع، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ (النساء: ٢٣)، ولم يذكر البنت أو العمة كما ذكرهما في النسب.

وتعقب بأنه ليس في الآية نص بإباحة البنت والعمة ونحوهما، لأن ذكر الشيء لا يدل على سقوط الحكم عما سواه لو لم يعارضه دليل آخر، كيف وقد جاءت هذه الأحاديث الصحيحة؟ والله أعلم- شرح مسلم للنووي (٢٧٤/٥).

والحمد لله رب العالمين.

يوم عاشوراء بين السنة والشيعة

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدُ: فقد جعل الشرع ليوم عاشوراء فضلاً ومنزلة، فحث على صيامه وضاعف فيه الأجر. ثم كان للناس فيه أحوال وطرائق فأدخلوا فيه وأحدثوا وزادوا.. إما تقليدًا للناس ومجاراة لهم، وإما اتباعًا للهوى وزهدًا في السنة. من هنا كانت الحاجة لبيان فضل هذا اليوم، وما يُشرع فيه، وبيان أحوال الناس في تعظيمه، مع الرد على بعض الشبهات المتعلقة به، أسأل الله تعالى الهدى والسداد.

أولاً: عاشوراء عبر التاريخ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّه بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِه. (رواه البخاري ١٨٦٥).

قوله: (هذا يوم صالح) في رواية مسلم: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرّق فرعون وقومه. قوله: (فصامه موسى) زاد مسلم في روايته: شكرًا لله تعالى فنحن نصومه.

وفي رواية للبخاري: «ونحن نصومه تعظيمًا له» ورواه الإمام أحمد بزيادة: وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكرًا.

قوله: (وأمر بصيامه) وفي رواية للبخاري أيضا: فقال لأصحابه: «أنتم أحق بموسى منهم فصوموا».

وصيام عاشوراء كان معروفًا قبل البعثة النبويّة أيام الجاهلية فقد ثبت عن أمّنا عائشة رضي الله عنها قالت: «إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه».. قال القرطبي:

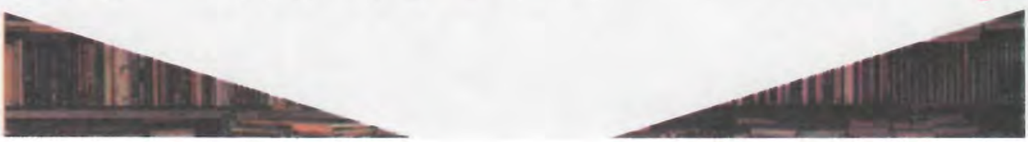

لعل قريشًا كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم عليه السّلام. وقد ثبت أيضًا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة. فلما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يحتفلون به فسألهم عن السبب فأجابوه كما تقدّم في الحديث وأمر بمخالفتهم في اتّخاذه عيدًا؛ كما جاء في حديث أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ الْيَهُودُ عِيدًا».

وفي رواية مسلم: «كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود تتخذه عيدًا» وفي رواية له أيضًا: «كان أهل خيبر (اليهود).. يتخذونه عيدًا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم».

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَصُومُوهُ أَنْتُمْ». (رواه البخاري).

وظاهر هذا أن الباعث على الأمر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه؛ لأن يوم العيد لا يصام. (انتهى ملخصًا من كلام ابن حجر رحمه الله في فتح الباري).

وكان صيام عاشوراء من التدرّج الحكيم في تشريع الصيام وفرضه فقد أُحيل الصِّيامُ ثلاثة أحوال. فقدم رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجعل الصّوم كل شهر ثلاثة أيّام ويَوم عاشوراء. ثُمّ إنّ الله تعالى فرض الصّيام بقوله: «كُتب عليكُمُ الصّيامُ» (أحكام القرآن للجصاص ج١). فانتقل الفرض من صيام عاشوراء إلى صيام رمضان وهذا من الأدلة في أصول الفقه على جواز النسخ من الأخف إلى الأثقل.

وقبل نسخ وجوب صوم عاشوراء كان صيامه واجبًا؛ لثبوت الأمر بصومه ثم تأكد الأمر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بأمر الأمهات أن لا يُرضعن فيه الأطفال وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم: «لما فرض رمضان ترك عاشوراء». (فتح ٤ /٢٤٧) أي ترك وجوبه أما استحبابه فباقٍ.

فضل صيام عاشوراء:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَهَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ. (رواه البخاري ١٨٦٧).

ومعنى «يتحرى» أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: صيام يوم عاشوراء، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله. (رواه مسلم ١٩٧٦)، وهذا من فضل الله علينا أن أعطانا بصيام يوم واحد تكفير ذنوب سنة كاملة. والله ذو الفضل العظيم.

أي يوم هو عاشوراء:

قال ابن قدامة رحمه الله: عَاشُورَاءُ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ الْمُحَرَّمِ. وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَالْحَسَنِ؛ لِمَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِصَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ الْعَاشِرِ مِنْ الْمُحَرَّمِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: التَّاسِعُ وَرُوِيَ «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَصُومُ التَّاسِعَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِمَعْنَاهُ. وَرَوَى عَنْهُ عَطَاءٌ، أَنَّهُ قَالَ: «صُومُوا التَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ». إذَا ثَبَتَ هَذَا فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ صَوْمُ التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ لِذَلِكَ. نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ. وَهُوَ قَوْلُ إِسْحَاقَ.

استحباب صيام تاسوعاء مع عاشوراء

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (رواه مسلم ١٩١٦).

قال الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق

وآخرون: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صام العاشر، ونوى صيام التاسع.

وعلى هذا فصيام عاشوراء على مراتب أدناها أن يصام وحده وفوقه أن يصام التاسع معه وكلَما كثر الصَيام في محرَم كان أفضل وأطيب.

ضلالات الشيعة في يوم عاشوراء

ما يفعله الشيعة في عاشوراء من ضرب الصدور، ولطم الخدود، وضرب السلاسل على الأكتاف، وشج الرؤوس بالسيوف واراقة الدماء، محدث لا أصل له في الإسلام؛ فإن هذه أمور منكرة نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه لم يشرع لأمته أن تصنع شيئًا من ذلك، لموت عظيم، أو فقد شهيد، مهما كان قدره ومنزلته. وقد استشهد في حياته صلى الله عليه وسلم عدد من كبار أصحابه الذين حزن لفقدهم كحمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، فلم يفعل شيئًا مما يفعله هؤلاء، ولو كان خيرًا لسبقنا إليه صلى الله عليه وسلم.

وهذه البدع والضلالات من موروثات الجاهلية، التي نهى عنها الإسلام؛ فقد روى البخاري (١٢٩٤) ومسلم (١٠٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

وهي أعمال منكرة لا أصل لها في ديننا، لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه لوفاته أو لوفاة غيره، مع أن المصاب بالنبي صلى الله عليه وسلم أعظم مصاب ابتليت به الأمة على الإطلاق.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتل الحسين - رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا وشجاعًا وسخيًا، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنعٌ ورياءٌ، وقد كان أبوه أفضل منه، فقتل وهم لا يتخذون مقتله مأتمًا كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصورٌ في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذُبحَ من الوريد إلى الوريد، ولم يتَخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك الصدِّيق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتمًا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتمًا يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين.

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها فيُحدث لها استرجاعًا إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب بها» (رواه الإمام أحمد وابن ماجه). انتهى من «البداية والنهاية» (٨/٢٢١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه، يُحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء وانشاد المراثي... وبدعة السرور والفرح... فأحدث أولئك الحزن، وأحدث هؤلاء السرور، فصاروا يستحبون يوم عاشوراء الاكتحال والاغتسال والتوسعة على العيال واحداث أطعمة غير معتادة... وكل بدعة ضلالة، ولم يستحبَ أحدٌ من أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا». انتهى من «منهاج السنة» (٤/٥٥٤) باختصار.

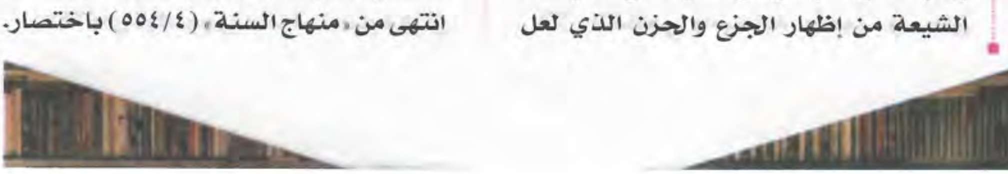

شبهات حول صوم يوم عاشوراء

أولًا: من ذلك قولهم كيف صادف النبي صيام اليهود، وقد كانت هجرته في ربيع الأول وعاشوراء في المحرم وبينهما ما بينهما من الشهور.

ويجيب عن ذلك الإمام ابن حجر رحمه الله فيقول: والجواب عن ذلك أن المراد أن أول علمه بذلك وسؤاله عنه كان بعد أن قدم المدينة لا أنه قبل أن يقدمها علم ذلك، وغايته أن في الكلام حذفًا تقديره: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأقام إلى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صيامًا. ويحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التأويل مما يترجح به أولوية المسلمين وأحقيتهم بموسى عليه الصلاة والسلام لإضلالهم اليوم المذكور وهداية الله للمسلمين له. (فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٤٧).

وللإمام ابن القيم كلام قريب من هذا جاء فيه: «فليس فيه أن يوم قدومه وجدهم يصومونه، فإنه إنما قدم يوم الاثنين في ربيع الأول ثاني عشرة، ولكن أول علمه بذلك بوقوع القصة في العام الثاني الذي كان بعد قدومه المدينة» (زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٦٦).

ثانيا: زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ صيام عاشوراء عن اليهود

والدليل على بطلان هذه الشبهة ما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّه عَنْها، قالَتْ: كانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عاشوراءَ في الجاهِلِيَّةِ، وَكانَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَصُومُهُ، فَلَمَّا هاجَرَ إلى المَدِينَةِ، صامَهُ وَأَمَرَ بصِيامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضانَ قالَ: مَن شاءَ صامَهُ وَمَن شاءَ تَرَكَهُ. (أخرجه البخاري (١٨٩٣)، ومسلم (١١٢٥)).

وفي رواية قالت: «كانَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُ بصِيامِهِ قَبْلَ أنْ يُفْرَضَ رَمَضانُ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضانُ، كانَ مَن شاءَ صامَ يَومَ عاشُوراءَ وَمَن شاءَ أفْطَرَ». (صحيح مسلم ١١٢٥).

فتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك اليوم، وافتراضه على الأمة كان قبل علمه صلى الله عليه وسلم بصيام اليهود له.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ذلك اليوم قبل الهجرة.

قال القرطبي في «المُفهم»: «لم يَصُم النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء اقتداء باليهود؛ فإنه كان يَصوم قبل قدومه عليهم، وقبل علمه بحالهم، لكن الذي حَدَث له عند ذلك إلزامه والتزامه استئلافًا لليهود، واستدراجًا لهم، كما كانت الحكمة في استقباله قِبْلتهم، وكان هذا الوقت هو الوقت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم يُنهَ عنه». اهـ.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يَتَشَبَّه باليهود، وإنما خالفهم، ففي حديث أبي موسى الأشعري قال: كانَ أهْلُ خَيْبَرَ يَصُومُونَ يَومَ عاشُوراءَ، يَتَّخِذُونَهُ عِيدًا وَيُلْبِسُونَ نِساءَهُمْ فيه حُلِيَّهُمْ وَشارَتَهُمْ، فَقالَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: فَصُومُوهُ أنْتُمْ. (صحيح مسلم ١١٣١).

وعَزم على مخالفتهم في آخر حياته، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حِينَ صامَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَومَ عاشُوراءَ وَأَمَرَ بصِيامِهِ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، إنَّه يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ اليَهُودُ والنَّصارى فَقالَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: فإذا كانَ العامُ المُقْبِلُ إنْ شاءَ اللَّه صُمْنا اليومَ التَّاسِعَ قالَ: فَلَمْ يَأْتِ العامُ المُقْبِلُ، حتَّى تُوُفِّيَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم. (صحيح مسلم ١١٣٤).

أسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على ذكرك وشكره وحسن عبادته. والله المستعان.

خُطُورة الغِيابِ عن إصْلاحِ الشَّبابِ (٢)

قَدِ اهْتَدَى مَنِ اقْتَدَى

إعداد **د. عماد محمد علي عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الْحمدُ لله، والصلاة والسلام على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة، محمد بن عبد الله، وسيد ولد آدم وأشرف خلق الله في أُولاه وأُخراه، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومَن تبعه واهتدى بهداه. أما بعد: فهذا مقالٌ كتبتُه عن قيمة الاقتداء وأثره في سُلوك طريقِ الهُدى والرَّشاد، وبُلوغ منزلة الهدايَة والاهتداء، ولا رَيبَ أنَّ أحقَّ الناس بالقُدوة هم الشبابُ والفتيانِ، الَّذين هم في مَطْلع حياتهم، وبَواكيرِ عُمْرِهم، فهم أحْوجُ الناس إلى الصلاح والتقوى، وأحَقُّ الْخلق بالهدايةِ في العلانية والسِّرِّ والنَّجوى، لأنَّ هذه الطائفة هي المقدمة ورأس الْحَرْبة والطَّليعة في الأمَّة، وهم عُنوان الأمَّة في كلِّ أزْمَة ومُلمَّة، ومطيَّة القيادة ورسول الريادة، ودُعاة الْحَقِّ، ونتيجة الاستقامة، وثَمَرة التضحية، لأجْلِ هذا أجريْتُ القلم في عناني بعدما أمسكتُه ببناني، ثم تخلَّلت بلساني، وغُصْتُ على دقائق المَعاني، وأفصحتُ عن حال الشَّباب، وفصَّلتُ القول في الْخَطر المحدق بهم في دنياهم قبل الرجوع إلى الله والمآب، ووصفتُ بعض حالهم وما يؤدِّي إلى فساد مآلهم، وأنا وإن كنتُ لا أستطيع أن أجمع كلَّ ما يصلحُ الشباب فإنَّما أنا بشرٌ والأصل في البشر النَّقص والتَّقصير، غيرَ أنَّ الفَطِن الْحاذق يستدلُّ بِمَا حضَرَ على ما غاب، ويعرف الْخَافي بِمَا يُشبهه من البَادي، وبالله أستعين فهو المُوَفِّق والمُعين.

أهمية التربية بالقدوة:

مما اتفق عليه العقل والسمع، وتواطأ عليه الرأي والشرع أن التربية بالاقتداء كثيرة الفوائد، جمة المنافع والعوائد، ومع أنها تركت كثيرًا في الخير، وهجرت طويلًا في الإحسان والبر، واقترفت بطريقة متكاثرة في الفساد والإفساد، واجتنبت بصورة متضافرة في الصلاح وإصلاح العباد، إلا أنها من أهم سبل التربية، ومن أفضل طرق التقويم والتهيئة، أعني: بث معاني الأسوة في شبابنا وتربية الشباب بالقدوة، نعم، هي من أحب أدوات الإعداد، وأيسر أسباب الإمداد ، وهي مدخل عزيز، ومتبوأ شريف لمن أراد بلوغ أعلى المنازل، والوصول إلى أفضل المحال ويعد من القلائل، ولا يوفق له إلا السعداء، ولا يحرمه إلا الأشقياء، والعاقل يفني في ذلك عمره، ويطيب به ذكره، والغافل لا يعبأ به ولا يأبه له مع كثرة تعبه في الدنيا وطول نصبه- لأنه ما علم أن السفر بطين – أي: بعيد - والمنهل معين، فإن الناظر يجد الفتيان يتعلقون بلاعب ، ويهيمون بشاغب، ويقلدون التائه، ويقتدون بالواله ، لأنهم وجدوا الملأ من حولهم يعظمون شأن هؤلاء، ويرفعون من قدرهم، وكأنهم حماة ورعاة، وهداة وأباة، من أجل ذلك ذهب بصر الشباب إليهم، وتعلقت أمانيهم بهم، وارتبطت أحلامهم بأعمالهم؛ لبلوغ ما سلكوه، وولهت عقولهم من أجل تحقيق ما بلغوه.

الحث على التربية بالقدوة:

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بمن قبله من النبيين والمرسلين فقال تعالى: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ"(الأنعام: ٨٩-٩٠).

> أمر الله تعالى رسوله بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء والمرسلين، وأمر عباده المؤمنين بالاقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم: «أولئك» يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه «الذين هدى الله» أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، «فبهداهم اقتده» أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به. (تفسير ابن كثير: ٣/٢٩٩).

وكما أمر الله تعالى رسوله بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء والمرسلين، أمر عباده المؤمنين بالاقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب: ٢١).

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا

> كان الصحابة أكثر الناس تمسُّكا بالأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأشدهم تعلقًا بالقدوة به عليه الصلاة والسلام.

وَتَزَلْزَلُوا وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أَيْ: هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِهِ وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ: «لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» . (تفسير ابن كثير: ٦/٣٩١).

ثم كان الأمر بالأسوة بالصحابة باعتبار أنهم أفضل الناس بعد النبيين.

وعَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» قال الترمذي (٢٦٧٦) : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. اهـ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ» رواه الترمذي: (٣٦٦٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. اهـ

اقتداء الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم:

كان الصحابة أكثر الناس تمسُّكا بالأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأشدهم تعلقًا بالقدوة به عليه الصلاة والسلام، فكانوا يقتدون به في كل شيء في العبادات والأخلاق والمعاملات.

في العبادات: منها الصلاة:

قال ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: " قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أُمِرَ وَسَكَتَ فِيمَا أُمِرَ، «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» (مريم: ٦٤) «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (الأحزاب: ٢١)". (رواه البخاري: ٧٧٤).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَقَالَ سَعِيدٌ: فَلَمَّا خَشِيتُ الصُّبْحَ نَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: خَشِيتُ الصُّبْحَ، فَنَزَلْتُ، فَأَوْتَرْتُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَقُلْتُ: بَلَى وَاللهِ، قَالَ: «فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ» (رواه البخاري: ٩٩٩، ومسلم: ٧٠٠).

وعن حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: سَافَرَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: " صَحِبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَرَهُ يُسَبِّحُ فِي السَّفَرِ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ)" (رواه البخاري: ١١٠١، ومسلم: ٦٨٩).

ومنها الْحَجّ: عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَأَلْنَا ابْنَ عُمَرَ عَنْ رَجُلٍ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعُمْرَةَ، وَلَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، أَيَأْتِي امْرَأَتَهُ؟ فَقَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، وَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ»، وَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ. وَسَأَلْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: «لَا يَقْرَبَنَّهَا حَتَّى يَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ» (رواه البخاري: ٣٩٥، ٣٩٦، ومسلم: ١٢٣٤).

وفي المعاملات: منها النكاح: فعن سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا فَيَجْعَلَهُ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ، وَيُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّى يَمُوتَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَقِيَ

أُنَاسًا منْ أَهْل المَدينَة، فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلكَ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ رَهْطًا ستَّةً أَرَادُوا ذَلكَ في حَيَاة نَبيِّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَنَهَاهُمْ نَبيُّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «أَلَيْسَ لَكُمْ فِي أُسْوَةٌ؟» فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بذَلكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ، وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا وَأَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتهَا. (رواه مسلم: ٧٤٦).

عَن ابْنِ عَبَّاس ، قَالَ: «إِذَا حَرَّمَ الرَّجُلُ عَلَيْه امْرَأَتَهُ، فَهِيَ يَمِينٌ يُكَفِّرُهَا»، وَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ» (الأحزاب: ٢١) حَسَنَةٌ. (رواه مسلم: ١٤٧٣).

> “أصبح إصلاح الشّباب بالقُدوة خير وسيلة، وباب إلى تحقيق الْخير فيهم ونشر كل فضيلة.”

القدوة وسيلة إلى كل فضيلة:

بالقدوة أيًّا كانتْ، وكيفمَا كانتْ، وسواءَ كانت في الْخَيْر أو الشرِّ أو في الصَّلاح أو الفَساد ينشطُ الكسْلان، وبالسَّماع عنها يطربُ الثَّكلان، فإليها تَميل الطَّباع ولها رنينٌ في الْخَواطر والأسماع. والنَّاظر في حال النَّاس يجد أنَّ كثيرًا منهم قد انسلَّ عن الدِّين، وأصبحتْ مذاهبُه مُختلّة القوانين.

لذا أصبح إصلاح الشَّباب بالقُدْوة خيرَ وسيلة، وباب إلى تحقيق الْخَير فيهم ونشر كل فضيلة، وهو أيسر لصلاحهم وأنفع لعلاجهم لأنه أجلب للقلوب، وأنفى في التربية والإعداد للغوب، وأقرب إلى تحقيق المطلوب، وأفضل في الوصول إلى المَرْغوب، لاسيَّما وأنَّ نُفوس الشَّباب تحتاج إلى نظرات عميقة، ومعاملة دقيقة، وطرق رقيقة، وأساليب رفيقة من أجْل الوصول إلى ما يردهم إلى صواب الطَّريقة، ويضعهم على سواء الحقيقة، هذا، ولا يخفى ما في أمورهم من تعقيد وصعوبة؛ إذْ يختلط الحماس عندهم بالفتور، وتَمْتزج القوة بالضعف، ويتردَّد الأمرُ بين الشَّدة بالرَّخاوة، ويعتريهم الاجتهاد والكسل، ويُوصم العزمُ بالعجز، وهكذا تتناقضُ أحوالُهم، وقد تختلف أمورهم وتتشابه قلوبهم، ولهذا لابُدَّ أن نعطي هذه القضية حقَّها، وأن نوفيها فضلها ومستحقَّها، كيما نصلَ إلى شبابنا من أقْرَب طريق، ونحقِّق فيهم كل ما هو بهم خَليق، وكيْمَا نستلَّ منهم الأعراف الفاسدة والأخلاق الكاسدة ونستبدلها بالذي هو خير من كل عائدة.

إن التأكيد على أمر القدوة يسهل علينا بناء الشباب، وتطهيرهم من الدنس ومن حياة اللغو والعيب والعاب، ثم إقامة القواعد منهم والأساس، بمَا يتَمشَّى مع الدِّين الذي هو أصل إصلاح وهداية النَّاس.

ومن نظر ما فيه الشباب من فاسد المآل وسيِء الأحوال، وعاين منهم الكَبَوات والأهْوال، ووجَد فيهم من المُغالطات الكَثير، أحَسَّ بأنَّ طعمَ الحياة مُرٌّ مرير، لأنهم قد رانتْ على قلوبهم الذنوب المُكْتسَبَات، وغطَّتْ على عقُولهم سحائبُ الْجَهالات، وتراكمتْ على بصائرهم قبائحُ العادَات، حتَّى أصبحُوا في غَمْرة من الشُّرور، وعادوا بضرر جسيم وأمْر مَهُول، وبلغ أنَّ طائفةً منهم ليست قليلةً لا يلتفتون إلى ناصح، ولا يعبؤون بلائم، ولا يستترون من حافظ ولا رقيب، ولا يبالون بشيء من بعيد ولا من قريب.

وأسأل اللَّه توفيقًا لنا، وعونًا يسدِّد فيما يُرضيه أعمَالنا.

قانون المعرفة الإسلامي

أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته دليل نبوته

إعداد أ. د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

أيها القارئ الكريم: ما يزال الحديث مستمرًا حول «قانون المعرفة الإسلامي»، وكنا قد تكلمنا حول إثبات الوحي بالمعجزات الحسية، وأنها تختلف عن السحر، واليوم نتكلم عن دلالة صفات النبي وأحواله على ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم.

إن الإنسان يستطيع أن يميز بين الصادق والكاذب، وذلك بالنظر إلى أحوال الصادق والكاذب، بحيث لا يمكن الاشتباه بينهما، وإن كان هذا في غير الأنبياء، ففي الأنبياء بالأولى؛ لأن النبوة أشرف فضيلة يمكن أن يتحصلها بشر، ولقد ذكر الله تعالي ذلك في كتابه حين قال في الأنعام: « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » (الأنعام: ١٢٤).

وأيضًا من تأمل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها يعلم ضرورة أنه صادق، ولو لم تؤكد الأمور الأخرى على نبوته.

فقد كان صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الكذب، حتى أنه كان يلقب مِن قِبل قومه بـ: (الصادق الأمين)، واشتهر بهذا اللقب حتى إن عظيم الروم لما سأل التجار من أهله عنه بقوله: هل آثرتم عليه كذبة؟ فقالوا: لا، بل هو الصادق الأمين.

والذي رد على عظيم الروم أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه قبل أن يسلم، ويخرج حينها ويقول لمن معه: «لو لم تؤثر عليَّ كذبة لكذبت» وهذا ثابت في البخاري.

والشاهد أن كفار مكة كانوا يقدّرون الصدق ويعتبرونه من أصول الفضائل، ويقبّحون الكذب ويعتبرونه من الرذائل، فحين تخرج الشهادة من فم هؤلاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو: الصادق الأمين، يكون لها وقعها في نفوس من يعلم ذلك حقًا.

> “ كفار مكة كانوا يقدّرون الصدق ويعتبرونه من أصول الفضائل، ويقبّحون الكذب ويعتبرونه من الرذائل. ”

وقبل ذلك قصة جمع قريش عند الصفا حينما نزل قول الله تعالى من الشعراء: « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ » (الشعراء: ٢١٤). جمعهم وقال لهم صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد...». فكان احتجاج النبي صلى الله عليه وسلم بما شهدوا به من قبله له، أي باللقب الذي أخذه منهم: «الصادق الأمين»، وبالفعل قالوا: «ما جربنا عليك كذبًا» ما أجملها من شهادة لا سيما وأنها منهم أخذها النبي صلى الله عليه وسلم بما علموه من حاله، بأنه لا يكذب على الناس، فكيف يكذب على الله تعالى! وهذا ثابت عند البخاري وعند الترمذي.

وليس هذا وحسب؛ بل إن مجرد رؤيته يستدل بها على صدقه، بالرؤية فقط، وحدث هذا مع عبد الله بن سلام، فإنه شهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد رؤيته. فقد ذهب لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة؟ فقال: «فلما تأملت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كاذب». وهذا ثابت عند الترمذي وغيره.

ومن المقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث قبل الوحي أربعين سنة لم يؤثر عنه ذكر للنبوة، وهذا من أظهر الأدلة على معرفة حاله وصفاته واشتهار ذلك بين الناس. ثم فاجأه الوحي بالغار؟ فمن المحال أن يكون ذلك ادعاءً للنبوة، ولو كان كذلك فلم تأخر للأربعين؟!

وهنا جاء الأمر من الله تعالى بالاحتجاج على قومه بهذا، فقال في يونس: « قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (يونس: ١٦).

بل وقد جاء في القرآن ما يفيد بأن الأنبياء قبل النبوة كانوا في غفلة منها، فعن نبينا ذكر القرآن في الضحى: « وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ » (الضحى: ٧). أي كنت غافلاً عن النبوة، فهداك الله إلى أمرها، ويؤكد ذلك عدم تعرض النبي للنبوة طوال الأربعين عامًا السابقة لها.

وقد استدل هرقل عظيم الروم في القصة المذكورة آنفًا مع أبي سفيان بن حرب بأمر الصدق والكذب في هذا الذي ادعى النبوة عندكم، فحصل له ضرورة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يكن يتوقع أن يكون من العرب فتنبأ هرقل بقول: إن كان كذلك فسيملك موضع قدمي هاتين، وصدق فحتمًا يكون أساس هذه الدلالة إمكانية التمييز بين الصادق من الكاذب بالنظر إلى أحوالهما تمييزًا ضروريًا بحيث لا يشتبه بينهما.

وإلى هنا نكون قد انتهينا من الكلام على ما يتضمنه الوحي من إثبات للوحي في اللقاء القادم نتكلم بإذن الله عن ما يتضمنه الوحي من معارف. والله نسأل أن يوفقنا جميعًا لما يحب ويرضى.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاعتقاد الصحيح الأساس للنجاة من النار

قال تعالى: «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ»

التوبة: ١٠٩

فضل الصيام في شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (صحيح مسلم).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا. فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرَقوا. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، واضاعة المال» (صحيح مسلم).

فضل صيام يوم عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: يكفر السنة الماضية. (صحيح مسلم).

من أقوال السلف

قال عون بن عبد الله: قلت لعمر بن عبد العزيز: «يقال إن استطعت أن تكون عالمًا فكن عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلمًا، فإن لم تكن متعلمًا فأحبهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم. فقال عمر: «سبحان الله لقد جعل الله -عز وجل- له مخرجًا»

(ذم الكلام للهروي).

إعداد : علاء خضر

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلتُ، واليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني؛ أنت الحي الذي لا يموت، والجن والانس يموتون» (متفق عليه).

من دلائل النبوة

استجابة الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر: اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك؛ فخرج وهو يثب في الدرع، وهو يقول: سيُهْزَم الجمع ويولون الدبر. (صحيح البخاري).

من فضائل الصحابة

فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر وعمر سيِّدا كهولِ أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تُخبرهما يا عليّ ما داما حيَّيْن» (صحيح ابن ماجه).

البدع الواقعة في يوم عاشوراء

قال ابن القيم: «وأما أحاديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء فمن وضع الكذابين، وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن، والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة، وأهل السنة يفعلون ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع» (المنار المنيف).

حكم ومواعظ

قال الرَّبيع بن أنس:

«علامة حبِّ الله، كثرة ذكره، فإنّك لا تحبّ شيئا إلّا أكثرت من ذكره،

وعلامة الدِّين: الإخلاص لله في السِّرِّ والعلانية،

وعلامة الشُّكر: الرِّضى بقدر الله والتّسليم لقضائه.

(مدارج السالكين)

حجاب المرأة المسلمة

إعداد: د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين ، وبعد ما زال حديثنا موصولاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب ، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى : أدلة القرآن . المجموعة الثانية : أدلة السنة . المجموعة الثالثة : الآثار عن الصحابة ومن بعدهم . وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن ، ومن أدلة السنة ، وبدأت فى الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم فانتهيت من الأثر الأول، وأواصل بإذن الله تعالى . الأثر الثاني عن عائشة رضى الله عنها - في حادثة الإفك - قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه ..... وفيه : فبينما أنا جالسة غلبتنى عيناى فقمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش ، فاصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم ، فأتانى ، فعرفنى حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهي بجلبابي ......

(أخرجه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم) .

القرائن حول الأثر :

١- فرأى سواد إنسان : هل يستدل بهذه الجملة أنها كانت ترتدى ثيابا سوداء ، استأنس به بعض أهل العلم على لبس اللون الأسود للمرأة . لكن المعنى القريب والراجح أن سواد الإنسان أي شخصه الذي يبدو من بعيد أو في الظلام ولايتبين من هو رجل أم امرأة .

٢- فخمرت وجهى بجلبابى : أى غطيت وجهى بجلبابى، فهل يستدل بهذا على وجوب تغطية وجه المرأة ؟قال في طرح التثريب : وفيه - أى الحديث- تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبى سواء كان صالحا أو غيره (طرح التثريب لزين الدين العراقي ٨/٥٣) . ويقول السندى : في هذا الحديث شاهد قوى ، ودليل

واضح على أن الوجه عورة وزينة ، ولذا خمرت الصديقة بنت الصديق وجهها (انظر ثلاث رسائل فى الحجاب ص ٩٦).

قلت : هذا يعود بنا إلى مسألة سبق أن طرحتها وهى هل النقاب فرض على عموم النساء كما هو فرض على أمهات المؤمنين؟ فالبحث ليس فى فرضية النقاب على أمهات المؤمنين ، فهو فرض عليهن اتفاقا بلا خلاف فى ذلك ، إنما الخلاف فى غير أمهات المؤمنين من عموم النساء ، هل تغطية الوجه واجبة عليهن كما هي واجبة على أمهات المؤمنين ، وسبق أن تكلمت عن هذه المسألة بإسهاب ، عندما تكلمت عن آيات الحجاب ، وكيف أن فريقا من أهل العلم عمم الأمر بتغطية الوجه لأمهات المؤمنين وغيرهن من النساء ، وفريقا آخر قصر الأمر بتغطية الوجه على أمهات المؤمنين فقط ، ويدخل غيرهن من النساء استحبابا وتقليدا لأمهات المؤمنين . عموما الأثر ليس قطعى الدلالة فى وجوب النقاب على غير أمهات المؤمنين ، لأنه خاص بتغطية وجه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . لكن يستدل بالأثر على فضيلة النقاب وفضل التأسى بأمهات المؤمنين .

الأثر الثالث : عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى تفسير قوله تعالى : (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء) (القصص : ٢٥) قال : ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء (تفسير ابن كثير وقال : هذا إسناد صحيح ٦/٢٢٨-السلفع من النساء : هى الجريئة على الرجال). وفى تفسير الطبرى : فجاءت موسى عليه السلام إحدى المرأتين اللتين سقى لهما ، تمشى على استحياء من موسى عليه السلام - قد سترت وجهها بثوبها ، ونقل عن عمر رضى الله عنه قال : مستترة بكم درعها أو بكم قميصها ونقل عنه أيضا : واضعة يدها على وجهها مستترة ، وذكر عن الحسن قال : بعيدة عن البذاء ، وعن السدى قال : أتته تمشى على استحياء منه (انظر تفسير الطبرى ١٩/٥٥٩) تفسير مجاهد ص ٢٥٦، تفسير يحيى بن سليمان ٢/٥٨٧، تفسير الجلالين ص٥١١).

وفى تفسير الماتريدى : تمشى على استحياء : مشى من لم يعتد الخروج ، أو تمشى مشى من لم يخالط الناس (انظر تفسير الماتريدى ٨/١٦١).

ويقول السعدى: وهذا يدل على كرم عنصرها وخلقها الحسن فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة وخصوصا فى النساء(تفسير السعدى ص ٦١٤).

وقد استدل التويجرى بالأثر فى جملة أدلته على وجوب النقاب . قلت : الأثر يستدل به على حياء المرأة وخجلها من التعامل مع الرجال ، وفيما نقلت من أقوال المفسرين أنها لم تكن تضع شيئا خاصا نقابا - على وجهها - إنما سترته بثوبها أو بكمها أو بيديها.

الأثر الرابع: عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : جاءت امرأة إلى سمرة بن جندب فذكرت أن زوجها لايصل إليها ، فسأل الرجل ، فأنكر ذلك ، وكتب فيه إلى معاوية رضى الله عنه . قال : فكتب أن زوّجه امرأة من بيت المال لها حظ من جمال ودين ، فإن زعمت أنه يصل إليها فاجمع بينهما ، وان زعمت أنه لايصل إليها ففرق بينهما . قال : نفعل وأتى بهما عنده فى الدار ، قال : فلما أصبح دخل الناس ودخلت . قال : فجاء الرجل وعليه أثر صفرة ..... وجاءت المرأة متقنعة (السنن

الكبرى للبيهقي ح ١٤٣٠٢ ، قال الألباني : سنده حسن ،جلباب المرأة المسلمة ص ١٠٣).

القرائن حول الحديث:

١- القناع لغة : الحديث : وجاءت المرأة متقنعة: فقد استدل به من قال بوجوب تغطية الوجه ، لأن القناع هو ما يغطى الوجه . فهل القناع مقصور على ما يغطى به الوجه فقط أم له معاني أخرى ؟ قال فى مقاييس اللغة : قناع المرأة ما تديره برأسها (انظر مقاييس اللغة ٥/٣٣) وهو أوسع من المقنعة ، وقد تقنعت به ، وقنعت رأسها (انظر المحكم ١/٢٢٨) .

المقنعة: ما تقنع به المرأة رأسها (شمس العلوم ٨/٥٦٣٩).

وفى النهاية : قال عن رجل مقنع بالحديد هو الذى على رأسه بيضة وهى الخوذة لأن الرأس موضع القناع (انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/١١٤) وفى لسان العرب : والقناع والمقنعة : ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطى رأسها ومحاسنها.... قال الأزهرى : ولافرق عند الثقات من أهل اللغة بين القناع والمقنعة (انظر لسان العرب مادة قنع ٨/٣٠٠-٣٠١) .

٢- فى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فى قصة الهجرة قالت : فبينما نحن يوما جلوس فى بيتنا فى نحر الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا متقنعا فى ساعةلم يكن يأتينا فيها ..... (البخارى وغيره).

قال ابن الجوزى : متقنعا : أي مغطيا رأسه بثوب يستره (المشكل من حديث الصحيحين ٤/٣٨١) .

وقال الحافظ ابن حجر : متقنعًا : أى مغطيًا رأسه (انظر فتح البارى ٧/٢٣٥ ، عمدة القارى ١٧/٤٥ ، إرشاد السارى ٦/٢١٧ ، ٨/٤٢٩) .

وفى مرقاة المفاتيح : متقنعًا : أى مغطيًا رأسه بالقناع ، أى بطرف ردائه على ما هو عادة العرب لحر الظهيرة ، ويمكن أنه أراد التستر لكيلا يعرفه كل أحد (انظر مرقاة المفاتيح ٧/٢٧٦٥) .

وقال الشوكانى: التقنع : هو تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء أو غيره(انظر عون المعبود ١١/٩٢).

وفى مطالع الأنوار : التقنع هو تغطية الرأس من داء ونحوه ، ومقنع بالحديد كذلك أى مغطى الرأس بدرعه أو مغفر أو بيضة (انظر مطالع الأنوار ٥/٣٧٠).

التقنع كما وقفنا عليه فى أكثر كتب اللغة والحديث هو تغطية الرأس ، وقد يكون لتغطية الرأس والوجه ،وقد يكون لتغطية الوجه فقط . فحمل الكلمة على معنى واحد من معانيها يحتاج إلى دليل ، وعموما فالأثر متنازع فيه وليس مسلمًا به لمن استدل به على وجوب تغطية الوجه ، لأن المرأة كانت تغطي وجهها.

٣- لها حظ من جمال ودين : فكيف يوصف جمالها وهى مغطية لوجهها ؟وقد يجاب على ذلك بأنه لايستلزم ذلك كشف وجهها ، وإنما تراها النساء من قريبات الرجل الذى سيتزوج بها . يقول الشيخ الألبانى عن هذا الأثر كنت قد وهمت فى إيراد هذا الأثر فى جملة ما يدل على جريان العمل على ستر الوجه من النساء فى العهد الأول ، ثم تبين إلى أن الأمر على العكس من ذلك ، لأن التقنع هو ستر المرأة لرأسها دون وجهها ..... (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ١٠٣) قلت : ولا أرى أن موضع الشاهد من الأثر وهو تقنع المرأة ، يدل على ماذهب إليه الشيخ الألباني من أن كشف الوجه كان هو الذى يجرى عليه العمل من النساء فى العهد الأول ،لورود احتمالات عليه. وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

الميزان في سلوكيات الإنسان

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة واللام على رسول الله، وبعدُ: يقول الله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ) (الشورى: ١٧). والميزان من سلوكيات الإنسان، يعني التوافق في هذه السلوكيات سلبًا وإيجابًا، يظهر ذلك في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى». ومن أساليب التوافق التام بين الوظائف النفسية المختلفة ألا نفكر في أمر ما بطريقة معينة ثم نسلك نحن طريقًا آخر، ومثال ذلك أنه قد ينفطر قلبك للمساكين وأنت نقرأ عن قصصهم الحزينة وأحوالهم البائسة وأخبارهم الأليمة، ولكنك مع هذا لا تعطف عليهم ولا تعطيهم حقوقهم ولا تخرج زكاة مالك لهم. كما أنه مما يُخل بالتوافق النفسي أن يقول المرء غير ما يفعل أو يفعل غير ما يقول، وقد أنحى الحق سبحانه وتعالى باللائمة على ما ينتهجون هذا المنهج بقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢، ٣).

ومن معنى التوافق النفسي أيضًا ألا نأمر الناس بفعل الخير وننسى أنفسنا. وفي هذا يقول الله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة: ٤٤). كما أن من معانيه كذلك ألا نكون كالمطففين (ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ٢، ٣).

ومن صور التوافق النفسي أيضًا ألا نكون من المفسدين الذين يظنون أنهم مصلحون (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) (البقرة: ١١)، فالتوافق النفسي الداخلي معناه خلو المرء من تعدد الاتجاهات الداخلية المختلفة وتضاربها وتعارضها، كأن يتردد المرء بين تحقيق كرامته في نظر نفسه واشباع جوعه عن طريق السرقة، أو كما يحدث في مواقف يتنازع الفرد فيها أمران: تضحيته بنفسه وأولاده لإنقاذ مبادئه، أو تضحيته بمبادئه لإنقاذ نفسه وأولاده وذلك مثل الجواسيس والخونة.

وخلو النفس من التناقض ومن النزاع والصراع والانقسام وما يترتب على ذلك من تردد وتوتر نفسي، وعدم قدرة المرء على حسم النزاع عند وقوعه، نقول: إن خلو النفس من هذه السلبيات هو أهم شرط من شروط الصحة النفسية، فأساس الصحة النفسية إذن كأساس الصحة البدنية وهو يتمثل في تحقيق التوازن والتكامل أو (مبدأ الوحدة).

> “ التوافق النفسي الداخلي معناه خلو المرء من تعدد الاتجاهات الداخلية المختلفة وتضاربها وتعارضها. ”

والمهم في هذا كله أن يكون الإنسان هدفًا رئيسًا يوحد بين اتجاهاته ونزاعاته، وأن يكون له معيار يقيس به تصرفاته وأعماله، وواضح أن الهدف كلما سما وارتفع واتسع في الزمان والمكان كلما كانت قدرة الإنسان على إحداث الوحدة وتحقيق التكامل النفسي أكبر وأشمل وأكثر دوامًا. والذي يهدف لإسعاد نفسه دون غيره هو في الحقيقة أقل تكاملاً ممن يسعى لإسعاد أسرته ولو على حساب نفسه، والذي يسعى لإسعاد أسرته فحسب هو أقل تكاملاً ممن يسعى لإسعاد أمته، بل إن هناك من يسعى لإسعاد الناس جميعًا بغض النظر عن ذواتهم أو مكانتهم أو أماكنهم، وغير ذلك من تباين، وهؤلاء هم الأنبياء والمصلحون وأصحاب الرسالات الذين هم على استعداد للتضحية والإيثار، ولنتأمل في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم هنا عندما يدعو الأمة إلى الإيمان الحق القائم على التحاب والإيثار: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا» رواه مسلم.

ولو أردنا أن نلخص هذا لقلنا: إن التوافق النفسي وحدة كاملة أو هو تكامل تام بين رغبات النفس ونزعاتها ودوافعها وقدراتها وعواطفها وقيمها واتجاهاتها وأهدافها، وهو تكامل بين الإنسان وبين بيئته المادية والاجتماعية، وهو شعور بالسعادة والكفاية والرضا والطمأنينة والاتزان. ووحدة النفس بعبارة أخرى هي أن تعمل كل قواها في اتجاه

واحد، وأن تتفاعل مع البيئة بجوانبها المادية والإنسانية تفاعلاً صالحًا منتجًا يحقق خلافة الإنسان في الأرض، بحيث يصاحب كل هذا شعور بالرضا والسعادة استجابة لقول الله تعالى في وصف المؤمنين: (رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ) (البينة: ٨).

ولكي نعي الترابط بين صحة النفس وصحة البدن نرى أن وحدة الإنسان هي في مزاج الوحدة الجسمية والوحدة النفسية جميعًا، وقد وضعت لهذا مقاييس كثيرة منها: أن يعرف الإنسان نفسه استجابة للحقيقة التي اهتدى إليها خامس الخلفاء الراشدين عمر بن العزيز رضي الله عنه: «رحم الله امرئ عرف قدر نفسه» (المناوي في فيض القدير).

ومن هذه المقاييس أيضًا أن يكون الإنسان متحررًا من الشك في نفسه وفي غيره مترسمًا توجيه الدين الحكيم في القرآن الكريم: (إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ) (الحجرات: ١٢). ومتحررًا من الخرافة والبدع والأوهام وغيرها، أي أن يكون المرء على ثقة بالله في نفسه وفي غيره، ويكون واقعيًا علميًا منطقيًا، حازمًا حاسمًا قادرًا على البت في المواقف التي تعرض له، مستجيبًا لقوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ) (آل عمران: ١٥٩).

ومثل هذه المعايير الإيمانية التي تحقق التوازن النفسي للإنسان ليست وقفًا على طائفة دون أخرى من الناس ولكنها معايير عامة يتفق في انتهاجها الجميع بفطرتهم النفسية التي تميز بين الخبيث والطيب والغث والسمين.

> لكي نعي الترابط بين صحة النفس وصحة البدن نرى أن وحدة الإنسان هي في مزاج الوحدة الجسمية والوحدة النفسية جميعًا.

ولعله من المفيد أن نركز هذه المعايير في النقاط التالية:

(١) أن لا يكون المرء مقصرًا في الحياة أو كارهًا لها أو متكالبًا عليها.. وما أنصع نصيحة قوم قارون له تلك النصيحة التي أوردها القرآن الكريم والتي تنطق بالاتزان والتوازن (وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ) (القصص: ٧٧).

(٢) أن يستمتع بإشباع حاجاته اليومية العادية من مأكل ومشرب وغير ذلك في حكمة وتوسط واعتدال: (قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ) (الأعراف الآية ٣٢). وكذلك: (وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ) (الأعراف الآية ٣١).

(٣) أن يواجه صعوباته اليومية العادية بانفعال هادئ ونفس راضية.

(٤) أن يعمل ويتعلم وينتج ويتحمل المسؤولية مقدرًا قيمة نفسه كما جعله الله خليفة في الأرض.

(٥) أن يكون له في حياته هدف كبير تتضافر فيه القيم الاجتماعية والأخلاقية والعلمية في إطار المُثل الإسلامية الهادفة الهادية مؤمنًا بأن الغاية النبيلة تُدرك بالسلوك النبيل.

وعلى الله قصد السبيل.

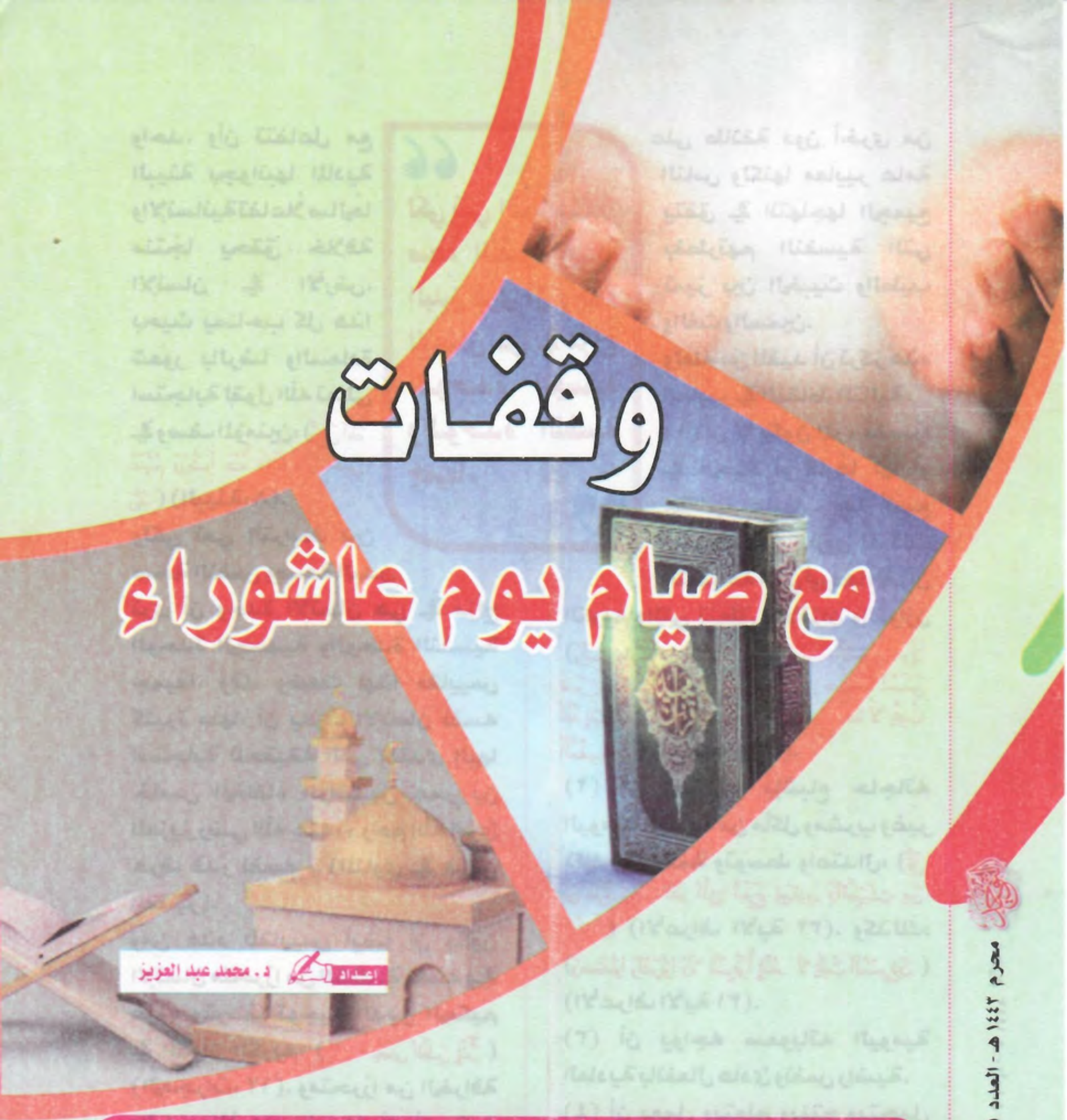

وقفات
مع صيام يوم عاشوراء

إعداد د. محمد عبد العزيز

الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فهذه خمس وقفات مهمة وموجزة مع يوم عاشوراء، كتبتها تذكيرا بفضل هذا اليوم وبعض فقهه، سائلاً الله عزوجل القبول والتوفيق.

الوقفة الأولى: مبدأ صوم عاشوراء:

فيوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو يوم من أيام الله عظيم، شرع صيامه في شريعة موسى عليه السلام فصامه شكرًا لله تعالى، وصامته بنو إسرائيل، وعظمته الأمم من بعده حتى كانت تصومه قريش، وصامه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه.

> عاشوراء يوم من أيام الله عظيم، صامه موسى عليه السلام شكراً لله وعظمته الأثر من بعده.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه» أخرجه البخاري (٢٠٠٢)، (٣٨٣١)، (٤٥٠٤)، ومسلم (١١٢٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء.

فقال: ما هذا؟

قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى.

قال: فأنا أحق بموسى منكم.

فصامه، وأمر بصيامه» أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فأنا أحق بموسى منكم» فيه:

- إثبات الأخوة الإيمانية التي تجمع الأنبياء فدينهم واحد.
- إن النبي صلى الله عليه وسلم أطوع وأتبع للحق منهم.
- إن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بحب موسى عليه السلام وباتباعه من هؤلاء اليهود الذين بدلوا دينهم وشريعتهم.

وقد صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء في العاشر من محرم قبل قدومه المدينة ومعرفته بحال اليهود؛ فقد كانوا يصومون عاشوراء هم ويسمى عندهم: يوم الغفران أو يوم كيبور، وهو اليوم العاشر من تشري بالتقويم العبري.

وكانت قريش في الجاهلية تعظمه وتصومه، كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فسؤاله لهم سؤال إقرار على صيامه لا سؤال استعلام، وقد بيّن للأمة أنه أحق بصيام ذلك اليوم اقتداء بموسى عليه السلام من هؤلاء الذين بدلوا، قال أبو العباس القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ١٩٢ ١٩٣): «وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود عن يوم عاشوراء إنما كان ليستكشف السبب الحامل لهم على الصوم، فلما علم ذلك قال لهم كلمة حق تقتضي تأنيسهم واستجلابهم، وهي: (نحن أحق وأولى بموسى منكم).

ووجه هذه الأولوية: أنه علم من حال موسى وعظيم منزلته عند الله وصحة رسالته وشريعته ما لم يعلموه هم، ولا أحد منهم».

وقال ابن العربي المالكي في القبس (١/ ٥٠٨): «فلم يكن ذلك باتباع لليهود ولا اقتداء بهم، ولكنه أوحي إليه في ذلك ففعل بمقتضاه، ولكن فيه الاقتداء بموسى عليه السلام وموسى ممن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به في قوله تعالى: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» (الأنعام: ٩٠).

وقال النووي في شرح مسلم (٨/ ٩): «والحاصل من مجموع الأحاديث: أن يوم عاشوراء كانت الجاهلية من كفار قريش وغيرهم واليهود يصومونه وجاء الإسلام بصيامه متأكدًا، ثم

بقي صومه أخف من ذلك التأكد، والله أعلم».

الوقفة الثانية: سبب صيام عاشوراء:

- هو يوم نجى الله فيه موسى صلى الله عليه وسلم، وبني إسرائيل من فرعون.
- ويوم أغرق فيه فرعون وجنده.
- ويوم أظهر الله فيه من الآيات الباهرات.
- صيام النبي صلى الله عليه وسلم له وحثنا على صيامه.

الوقفة الثالثة: من فضائل صيام عاشوراء:

١- متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- إنه في الأشهر الحرم.

٣- إنه في شهر استحب فيه الصيام؛ حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم.

٤- إنه اجتمع فيه شرف الزمان، وشرف العبادة فالصيام من أحب العبادات إلى الله، وشرف متابعة السنة.

٥- إن صيامه تكفير لذنوب عام.

فعن أبي قتادة الأنصاري: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة؟

قال: يكفر السنة الماضية والباقية.

وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟

قال: يكفر السنة الماضية.

وسئل عن صوم يوم الإثنين؟

قال: ذلك يوم وُلدتُ فيه، وبعثت فيه، وأنزل علي فيه» رواه مسلم (١١٦٢).

٦- إن صيام عاشوراء من آكد أيام النوافل صيامًا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضّله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان» رواه البخاري (٢٠٠٦)، ومسلم (١١٣٢).

> “ اجتمع في صيام عاشوراء:
>
> ١- شرف الزمان
>
> ٢- شرف العبادة
>
> ٣- شرف متابعة السنة ”

الوقفة الرابعة: مراتب صيام عاشوراء:

صيام عاشوراء ثلاث مراتب.

قال الحافظ في الفتح (٤ / ٢٤٦):

«وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب:

- أدناها أن يُصام وحده.
- وفوقه أن يُصام التاسع معه.
- وفوقه أن يُصام التاسع والحادي عشر. والله أعلم».

الوقفة الخامسة: دليل مراتب صيام عاشوراء:

أما المرتبة الأولى: إفراد العاشر بالصيام.

فدليل ذلك حديث أبي قتادة رضي الله عنه:

«رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف تصوم؟

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما رأى عمر رضي الله عنه، غضبه قال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله.

فجعل عمر رضي الله عنه يردِّد هذا الكلام حتى سكن غضبه.

فقال عمر: يا رسول الله، كيف بمن يصوم الدهر كله؟

قال: «لا صام ولا أفطر»، أو قال: «لم يصم ولم يفطر».

قال: كيف من يصوم يومين ويفطر يومًا؟

قال: «ويطيق ذلك أحد؟».

قال: كيف مَن يصوم يومًا ويفطر يومًا؟

قال: «ذاك صوم داود عليه السلام».

قال: كيف من يصوم يومًا ويفطر يومين؟

قال: «وددت أني طوقت ذلك».

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله: صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» رواه مسلم (١١٦٢)

واللفظ له، وأبو داود (٢٤٢٥)، والترمذي (٧٤٩)، وابن ماجه (١٧٣٨)، النسائي في "الكبرى" (٢٨٠٩ - ٢٨١١) و(٢٨١٣) (٢٨١٦ - ٢٨٢٠).

فذكر صومه مفردًا، مع احتساب الأجر.

قلت: ولا يكره صيام العاشر وحده على الراجح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الاختيارات الفقهية للبعلي (ص ١٦٤)، وانظر شرح العمدة (٤ / ٥٨٤).

أما المرتبة الثانية: صيام التاسع والعاشر.

فدليل ذلك حديث أبي غطفان بن طريف المري، يقول: سمعت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: «حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه.

قالوا: يا رسول الله: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع.

قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم» (رواه مسلم ١١٣٤).

وهذا هم منه صلى الله عليه وسلم وهو أحد أنواع السنة.

وقد صح موقوفًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود». أخرجه عبد الرزاق (٧٨٣٩)، والطحاوي (٢/٧٨)، والبيهقي (٤/٢٨٧).

أما المرتبة الثالثة: صيام التاسع، والعاشر، والحادي عشر.

فدليل ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يومًا، أو بعده يومًا" وهو حديث ضعيف: رواه أحمد (٢١٥٤)، وابن خزيمة (٢٠٩٥)، والبيهقي (٤/٢٨٧).

> “
> مراتب صيام عاشوراء ثلاثة:
> الأولى: أن يصام مفردا.
> الثانية: ان يصام التاسع والعاشر.
> الثالثة: ان يصام قبله يوم وبعده يوم.
> ”

الوقفة السادسة:

من بدع عاشوراء:

من البدع التي تحدث في هذا اليوم بدعتان متقابلتان:

البدعة الأولى: اتخاذ ذلك اليوم عيدًا فيلبس فيه الجديد، وقد يختضب فيه ويكتحل، ويظهر فيه الفرح بإظهار أنواع الأطعمة.

وقد كانت اليهود تتخذ ذلك اليوم عيدًا ويلبسون فيها أفخر ثيابهم ففي صحيح مسلم (١١٣١) عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: «كان يوم عاشوراء يومًا تعظمه اليهود، وتتخذه عيدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوموه أنتم».

فلا يجوز لمسلم اتباعهم على هذا.

البدعة الثانية: اتخاذ ذلك اليوم مأتمًا تلطم فيه الخدود وتشق فيه الجيوب، ويدعى فيه بدعوى الجاهلية كما تفعله الرافضة لموافقته مقتل الحسين فهو من المنكر العظيم، وفضلاً عن بدعيته فهو من أفعال الجاهلية.

قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص ٥٤): وكل ما روي في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح.

وأما اتخاذه مأتمًا كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنه فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعًا ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتمًا، فكيف بمن دونهم. انتهى باختصار.

هذا ما وفق الله له في هذه العجالة، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

التصريف لمن عجز عن التأليف

التصريف
لمن عجز عن التأليف

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد،
فإن الحضارة الإنسانية مدينة للحضارة العربية الإسلامية في المقام الأول، وذلك لأنها قد وسعت كل تراث العالم القديم من علوم اليونان والفرس والهند، ولقّحت كل هذا بالإبداع العلمي العربي، وأصلحته وصحّحت ما به من أخطاء، حتي أضحت علوم الدنيا منقحة كلها، وليس أدل على ذلك من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف والذي يعد من أهم وأذيع كتاب في تاريخ الطب كله، بل لم يؤلف في الطب قديماً أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل.

إعداد **محمد محمود فتحي**

محتويات الكتاب

كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، كتاب في الطب والممارسة الطبية كتبه الطبيب الأندلسي أبو القاسم الزهراوي. يتكون الكتاب من ثلاثين مقالة (أو فصلا، كل منها تغطي تخصصا من تخصصات الطب) ختمها الزهراوي بالمقالة الثلاثين في الجراحة. حيث يذكر في مقدمة كتابه أن صناعة الطب قد تدهورت في زمنه وأنه كتب هذ الكتاب ليجمع فيه العلوم الطبية لمن عجز عن جمعها بنفسه (كما يتضح من اسم الكتاب). ويعلل الزهراوي وضعه الجراحة في آخر الكتاب لأنها مهنة سامية وتحتاج لمعرفة بكل التخصصات الطبية قبل الخوض فيها.

يتألف الكتاب من ثلاثة أبواب وكل باب مقسم إلى أكثر من ٢٠ فصلاً. يعرض الباب الأول الجراحة بطريقة الكي باستخدام أدوات متعددة ولجميع مناطق الجسم تقريبا. أما الفصل الثاني فيناقش ويعرض جراحة الخراجات وكيفية شقها. والفصل الأخير فيعرض فيه الزهراوي طرق تجبير العظام في حالة الكسر وكيفية إرجاعها إلى الوضعية الأصلية في حال تزحزحها عن مكانها الأصلي. (جلال مظهر (١٩٦٩). الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث).

الزهراوي

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ولد سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م) المعروف في العالم الغربي باسم Abulcasis، هو طبيب عربي مسلم ولد في مدينة الزهراء في الأندلس، وترجع أصوله إلى الأنصار. عاش الزهراوي في قرطبة، حيث درس وعلّم ومارس الطب والجراحة. ولم يتم الإشارة لاسم الزهراوي إلا من خلال كتابات ابن حزم الذي عدّه من ضمن أعظم أطباء الأندلس. أما أول من كتب سيرته الذاتية فهو الحميدي في كتابه «جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس»، الذي كتبه بعد ٦٠ عامًا من وفاة الزهراوي حيث قال عنه أنه: «من أهل الفضل والدين والعلم».

وقال عنه ابن أبي أصيبعة: «كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي، ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه» ووصفه غوستاف لوبون بأنه: «أشهر جراحي العرب، ووصف عملية سحق الحصاة في المثانة على الخصوص، فعُدّت من اختراعات العصر الحاضر على غير حقّ».

ويعد أعظم الجراحين الذين ظهروا في العالم الإسلامي، ووصفه الكثيرون بأبي الجراحة الحديثة. أعظم مساهماته في الطب هو كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، الذي يعد موسوعة طبية من ثلاثين مجلدًا. كان لمساهماته الطبية سواء في التقنيات الطبية المستخدمة أو الأجهزة التي صنعها تأثيرها الكبير في الشرق والغرب، حتى أن بعض اختراعاته لا تزال مستخدمة إلى اليوم، كما اخترع العديد من أدوات الجراحة كالتي يفحص بها الإحليل الداخلي، والذي يدخل أو يخرج الأجسام الغريبة من وإلى الحلق والتي تفحص الأذن وغيرها، كما أنه أول من وضّح الأنواع المختلفة لأنابيب البذل، وقد وصف الزهراوي الحقنة العادية والحقنة الشرجية وملاعق خاصة لخفض اللسان وفحص الفم، ومقصلة اللوزتين، والجفت وكلاليب خلع الأسنان، ومناشير العظام والمكاوي والمشارط على اختلاف أنواعها.

وقد توفي الزهراوي عام (٤٠٤هـ/١٠١٣م)
(تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس للدكتور خليل السامرائي).

منهج الكتاب

أتم الزهراوي كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» عام ١٠٠٠ م، وهو من ثلاثين مجلد من الممارسات الطبية والذي جمع فيه العلوم الطبية والصيدلانية في زمانه، والذي غطى نطاق واسع من الموضوعات الطبية منها طب الأسنان والولادة التي جمع معلوماته على مدى ٥٠ عامًا من ممارسته للطب، واحتوي على وصف تشريحي وتصنيف لأعراض حوالي ٣٢٥ مرض وعلاجاتها، والجوانب الطبية المتعلقة بالجراحة والجراحات التجبيرية والصيدلة وغيرها، إلا أن محتواه الأبرز كان في الجراحة. الذي قال عنه ابن حزم: «ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع، لنصدقن»، والذي ترجمه جيراردو الكريموني إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، والذي ظل يستخدم لخمسة قرون في أوروبا العصور الوسطى، وكان المصدر الأساسي للمعرفة الطبية بأوروبا، واستخدمه الأطباء والجراحون كمرجع لهم، وظل الكتاب متداولاً ويعاد طبعه حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وصف الزهراوي في كتابه أدوات الجراحة التي صنعها ورسمها، وحدد طريقة استعمالها، وشرح ما يفسد الجراحات وما يتوقف عليه نجاحها. وقد وصف كتاب التصريف ما عُرف بعدئذ بطريقة كوخر لمعالجة خلع الكتف، ووضعية الشر للولادة. وهو أول كتاب يوثّق أدوات طب الأسنان، ويشرح الطبيعة الوراثية للناعور. ووصف الزهراوي كيفية استعمال الملاقط في الولادات الطبيعية، وصنع ملقط لاستخراج الجنين الميت من الرحم. كما وصف تقنية للاستئصال الجراحي للتثدي.

في كتاب التصريف، وصف الزهراوي أيضًا كيفية ربط الأوعية الدموية قبل حوالي ٦٠٠ عام من وصف أمبرواز باريه لها عبر الكي، وهو أول كتاب يصف عدد من أجهزة طب الأسنان، وشرح الطبيعة الوراثية لمرض الناعور. كما اخترع أكثر من ٢٠٠ أداة جراحة.

في علم الصيدلة، كان الزهراوي رائدًا في تحضير الأدوية باستخدام تقنيات التسامي والتقطير.
(أثر العرب والإسلام في الحضارة الأوروبية).

النسخ المحققة

عكف جيرار الكرموني علي قراءة الكتاب جيداً وقام بترجمته بحرص شديد الي اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، وظلت ترجمته معتمدة للتدريس في جامعة سالرنو، وجامعة مونتيلييه، كما ترجم الكتاب بعد ذلك إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، والعبرية وسائر اللغات الأجنبية.

وإلى كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسو على شطآنه.

والحمد لله رب العالمين.

نصيحة حول ملابس البنات والأمهات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن تبع هداه.
أما بعد: فإن بعض الناس اعتادوا على الباس بناتهم البسة قصيرة والبسة ضيقة تبين أعضاء الجسم سواء كانت للبنات الكبيرات أو الصغيرات. ويحدث ذلك مع كثير من الأمهات أيضا. واذا كان ثمة نصيحة واجبة لهؤلاء فنقول وبالله التوفيق:

إعداد د. جمال عبد الرحمن

يجب على الإنسان مراعاة المسئولية، وأن يتقي الله ويجتهد ﴿في﴾ النصح لأهله وذويه، ويمنع كافة من له ولاية عليهن من هذه الألبسة، ويعلمهن ما جاء به الإسلام في هذا الشأن. فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما بعد.. وذكر" نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها" (صحيح مسلم ٢١٢٨).

وَمَعْنَى قَوْلِه: "كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ" فَإِنَّهُ أَرَادَ اللَّوَاتِي يَلْبَسْنَ مِنَ الثِّيَابِ الشَّيْءَ الْخَفِيفَ الَّذِي يَصِفُ وَلَا يَسْتُرُ فَهُنَّ كَاسِيَاتٌ بِالِاسْمِ عَارِيَاتٌ فِي الْحَقِيقَةِ مَائِلَاتٌ عَنِ الْحَقِّ مُمِيلَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ عَنْهُ وَأَمَّا قَوْلُهُ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ فَهَذَا عِنْدِي مَحْمُولٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَأَنَّ هَذَا جَزَاؤُهُنَّ فَإِنْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُنَّ فَهُوَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.... عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَنَظَرَ إِلَى أُفُقِ السَّمَاءِ فَقَالَ: مَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا وَقَعَ مِنَ الْفِتَنِ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ". انتهى. (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ١٣/٢٠٤).

ويحتمل أن تكون الكاسيات مما لا يسترهن من واصف الثياب ورقيقه، فهى كاسية عارية، فربما عوقبت في الآخرة بالتعرية والفضيحة التي كانت تبتغي في الدنيا، ويحتمل أن تكون رُبَّ كاسية في الدنيا لها المال تكتسي به رفيع الثياب

وتكون عارية من الحسنات في الآخرة". انتهى. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١٩١).

وهؤلاء النسوة اللاتي يستعملن الثياب القصيرة كاسيات، لأن عليهن كسوة لكنهن عاريات لظهور عوراتهن، لأن المرأة بالنسبة للنظر كلها عورة، وجهها ويداها ورجلاها، وجميع أجزاء جسمها لغير المحارم.

وكذلك الألبسة الضيقة، وإن كانت كسوة في الظاهر لكنها عرى في الواقع. فإن إبانة مقاطع الجسم بالألبسة الضيقة هو تعر. فعلى المرأة أن تتقي ربها ولا تبين مفاتنها، وعليها آلا تخرج للسوق أو للعمل أو للدراسة وهي متبذلة لابسة ما يلفت النظر، ولا تكون متطيبة لئلا تجر الناس إلي نفسها.

أيها المسلمون...أيتها المسلمات:

يا من رضيتم بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، سؤال: هل صدقتم الله في ذلك؟ فإنه من دين الله ربنا الذي أنزله على نبينا قوله تعالى:" يا أيها النبيُّ قلْ لأزواجكَ وبناتكَ ونساءِ المؤمنينَ يُدنينَ عليهنَّ منْ جلابيبهنَّ...". الأحزاب/٥٩.

قال ابنِ عبد البر:" فأمرَ النِّساءَ بالحِجابِ ثمَّ أمرنَ عندَ الخُروجِ أنْ يُدنينَ عليْهنَّ منْ جلابيبهن التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/٢٣٦).

وقال العظيم آبادي:" وقوله تعالى:" جلابيبهنَّ ": جمْعُ جِلبَاب وهيَ المُلاءَةُ التي تشتمل بهَا المرأة، أيْ يُرخينَ بعْضهَا على الوُجوه إذا خرجْن لحاجتهنَّ إلا عيْنًا واحدةً كذا في الجلالين. وقال في جامع البيان: الجِلْبابُ رداءٌ فوْقَ الخمار تسْترُ منْ فوْقَ إلى أسفل. يعْني: يُرخينَها عليْهنَّ ويُغطِّين وُجُوهَهُنَّ وأبْدانهُنَّ" انتهى. (ذلكَ أدْنى) أقربُ إلى (أنْ يُعرفْنَ) بأنَّهُنَّ حرائرُ (فلا يُؤْذيْنَ) بالتَّعرُّض لهُنَّ بخلاف الإماء فلا يُغطِّين وُجُوههُنَّ وكانَ المنافقونَ يتعرَّضونَ لهُنَّ. قالَ السُّيوطيُّ: هذه آيةُ الحِجابِ في حقِّ سَائر النِّساء، ففيهَا وُجوبُ سَتْر الرَّأس والوَجْه عليْهنَّ". عون المعبود وحاشية ابن القيم (١١/١٠٦).

> رُبَّ كاسية في الدنيا لها المال تكتسي به رفيع الثياب وتكون عارية من الحسنات في الآخرة".

وقال العلامة الشيخ عبد الله البسام رحمه الله:" بعد ما أنزل الحجاب: كان النساء في صدر الإسلام يُسفرن بعد أعقاب الجاهلية فأنزل الله تعالى آية الحجاب ﴿يا أيها النبي قل لأزواجكَ وبناتكَ ونساءِ المؤمنينَ يُدنينَ عليهن منْ جلابيبهن﴾ الآية. سنة خمس فاحتجبن عن الرجال. والجلباب: هو الملحفة: مثل (العباءة). (تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ص: ٦٢٧).

فعلى المرأة المسلمة أن تحتجب وتحتشم وتستحي وتلبس ملابس العفة والنقاء والطهارة، لا ملابس التبرج والتعري. وأن لا تخرج من بيتها إلا لحاجة ولكن غير متطيبة ولا متبرجة وبدون مشية خيلاء، وليعلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"؛ ففتنة النساء عظيمة لا يكاد يسلم منها أحد، وعلينا نحن معشر المسلمين أن لا نتخذ تقليد طرق أعداء الله والملة من يهود وغيرهم فإن الأمر عظيم. وفي ذلك ظلم للنفس والغير عظيم.

وان أولئك الدعاة الذين يدعون إلي السفور والاختلاط لفي ضلال مبين، وجهل عظيم، لمخالفتهم إرشادات الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يجهلون أو يتجاهلون ما حل بالأمم التي ابتليت بهذا الأمر وهم

الآن يريدون التخلص من هذه المصيبة، وأنى لهم ذلك؟ فقد أصبح عادة لا تغير إلا بعد جهد عظيم.

على الطريق الصحيح:

من المشاهد أن بعض الناس يعتني ويحافظ على بناته الصغار، حتى إن بعضهم يلزم ابنته بلبس الخمار وهي مازالت طفلة لكنها مميزة لأنه يعلم أن من شب على شيء شاب عليه، ويجتهد في فرض ذلك على جميع أسرته.

لا شك أن من شبّ على شيء شاب عليه، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم من بلغ سبع سنين بالصلاة، وإن لم يكن مكلفًا من أجل أن يعتاد عليها.

وعلى كل حال فالطفلة الصغيرة ليس لعورتها حكم، ولا يجب عليها ستر وجهها ورقبتها، ويديها ورجليها، لكنها تُعَوَّد من صغرها على لبس الحشمة والتستر ومعرفته، فإذا بلغت البنت حدًّا تتعلق بها نفوس الرجال وشهواتهم فإنها تحتجب دفعًا للفتنة والشر، ويختلف هذا باختلاف النساء، فإن منهن من تكون سريعة النمو جيدة الشباب، ومنهن من تكون ضد ذلك.

فإذا بلغت فعليها لبس ما يستر الوجه وكذلك اليدين أمام الرجال الأجانب وهو ما يعرف بالقفازين ، وينبغي للمرأة أن تلبسه حتى لا يظهر كفاها، وربما يدل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تتنقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين" . ربما يدل على أن النساء كان من عادتهن لبس القفازين، وأنه أستر للمرأة، وأبعد عن الفتنة، ولكن يجب أيضًا أن يكون القفازان بحيث لا يلفتان النظر من الرجال.

نصيحة لمن يمنع أهله من الحجاب الشرعي

ألا فليتق الله عز وجل الرجل في أهله، وأن يحمد الله عز وجل الذي يسر له زوجة صالحة مثل هذه الزوجة التي تريد أن تنفذ ما أمر الله به من اللباس الشرعي الكفيل بسلامتها من الفتن، وإذا كان الله عز وجل قد أمر عباده المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم النار في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم:٦).

> أمر النبي صلى الله عليه وسلم من بلغ سبع سنين بالصلاة، وإن لم يكن مكلفا من أجل أن يعتاد عليها.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حمل الرجل المسؤولية في أهله فقال: "الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته". فكيف يليق بهذا الرجل أن يسعى في إجبار زوجته على أن تدع الزي الشرعي في اللباس إلي زي محرم يكون سببًا للفتنة بها ومنها. فليتق الله تعالى في نفسه، وليتق الله في أهله، وليحمد الله على نعمته أن يسّر له مثل هذه المرأة الصالحة. وأما بالنسبة لزوجته فإنه لا يحل لها أن تطيعه في معصية الله أبدًا؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وعلى كل مسؤول في مؤسسة أو مصلحة ألا يضيّق على هؤلاء المحتشمات حتى لا يضيق الله عليه في حياته ومماته وبعثه يوم القيامة، بصدّه عن الحشمة والعفاف والعفة، ومشابهته لمن قالوا: "أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون"(النمل:٥٦).

وعلى الدعاة من أهل الإسلام المشغولين فقط بتجريح الناس وتتبع عوراتهم، والمشغولين أيضًا بمهاجمة إخوانهم ممن لهم زلات في مجتمعاتهم أن ينشغلوا كذلك بتصحيح أخطاء المجتمع ككل، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر دون مجاملات أو سخرية، ويبلغوا رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا.

والحمد لله رب العالمين.

قصة مفتراة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد علي حشيش

نواصل في هذا البحث تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص والطرقية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية مثل كتاب: «المستدرك على الصحيحين» للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري خاصة وأن أبا عبد الله الحاكم من أئمة علم الحديث رواية ودراية كما يتبين ذلك من كتابه: «معرفة علوم الحديث» وكتابه: «تاريخ نيسابور».

٢) هذه القصة وضعها الطرقية ليتخذ منها الشيعة والمتصوفة نسبًا إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الشجرة المزعومة التي جاءت في متن الخبر الذي جاءت به هذه القصة: حيث افترى هؤلاء الوضاعون فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها» كما سنبين في المتن.

٣) لم يكتف هؤلاء الطرقية والشيعة والمتصوفة بهذا بل قالوا: «وشيعتنا ورقها»، انظر كيف سوّلت لهم أنفسهم أن يجعلوا أنفسهم ورق هذه الشجرة؛ فلولا الورق ما كان فروعًا ولا ثمر؛ لأن الورق هو مصنع تغذية الشجر.

٤) ولم يكتفوا بهذا بل جعلوا أصل الشجرة وفرعها وثمرتها وورقها في الجنة فقالوا: «وأصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في سائر الجنة». اهـ. كما سنبين في المتن، وبهذا يكون هؤلاء الطرقية أوهموا أتباعهم بأنهم صاروا في الجنة بمجرد أن أصبحوا ورقة في الشجرة، وهذا هو اليقين عندهم الذي يتضاءل أمامه العمل.

٥) وان تعجب فعجب أن كل الذي ذكرناه عن الشجرة، هو ما نسبه هؤلاء الطرقية إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء الخبر الذي ذكرت به القصة مرفوعًا كما سنبينه من التخريج والتحقيق.

وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

ثانيا: المتن:

روى عن ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف، قال: خذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة».

ثالثا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية المفتراة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري المتوفى (٤٠٥هـ) في «المستدرك على الصحيحين» (١٦٠/٣)، ط: دار المعرفة بيروت، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن حيوية بن المؤمل الهمداني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد أخبرنا عبد الرزاق بن همام، حدثني أبي، عن ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف، قال: خذو عني قبل أن تُشاب الأحاديث بالأباطيل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا الشجرة.....» الحديث.

رابعا: التحقيق:

١) قال الإمام الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك» (١٦٠/٣) -عقب هذا الخبر-: «هذا متن شاذ، وإن كان كذلك فإن إسحاق الديري صدوق، وعبد الرزاق وأبوه وجده ثقات، وميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه». اهـ.

٢) الرد على الإمام الحاكم:

أ) قوله «هذا متن شاذ» لا بد لطالب هذا العلم أن يعرف مصطلح «الشاذ» عند الحاكم حتى يستطيع أن يحكم على قوله هذا.

فقد نقل الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» النوع (١٣): أن الحاكم النيسابوري قال: «الشاذ هو الذي ينفرد به الثقة وليس له متابع». اهـ.

ب) ثم نقل تعقيب الإمام ابن الصلاح على مصطلح الحاكم للشاذ فقال ابن الصلاح: «ويشكل على هذا: حديث «الأعمال بالنيات» فإنه تفرد به عمر، وعنه علقمة، وعنه محمد بن إبراهيم التيمي، وعنه يحيى بن سعيد».

ج) والمصطلح المعتمد في تعريف الشاذ واستقر عليه الاصطلاح هو ما ذكره الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٩٨) قال: «وعرف من هذا التقرير أن الشاذ: ما رواه المقبول مخالفًا لمن هو أولى منه. وهذا هو المعتمد في تعريف الشاذ بحسب الاصطلاح». اهـ.

د) الاستنتاج: نستنتج مما أوردناه أن قول الإمام الحاكم هذا متن شاذ لا يعني إلا تفرد الثقة، ولذلك قال: وإن كان كذلك فإن إسحاق صدوق وعبد الرزاق وأبوه وجده ثقات، وميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه. اهـ.

قلت: وبهذا يكون الإمام الحاكم قد جعل لميناء بن أبي ميناء صحبة والصحابة لهم المرتبة الأولى في مراتب التعديل لشرفهم، أما المرتبة الثانية بعد الصحابة فهي ثقة ثقة أو أوثق الناس كذا في «التقريب» (٤/١) وبهذا يكون ميناء بن أبي ميناء فوق رتبة أوثق الناس عند الحاكم.

والخبر انفرد به عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني عن أبيه عن جده عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم كما بينا آنفًا من التخريج .

٣) الرد على توثيق الحاكم: وعلى الصحبة التي جعلها لميناء.

أ) قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٩٣/٢): «ميناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف، متروك، ورمي بالرفض، وكذبه أبو حاتم، ووهم الحاكم فجعل له صحبة وهو من الثانية طبقة التابعين».

ب) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٩٥/١/٤): سألت أبي عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف فقال: «منكر الحديث، روى أحاديث في أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم مناكير، لا يُعبأ بحديثه كان يكذب». اهـ.

ج) قال الإمام الحافظ إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المتوفى (٢٥٩هـ)، في كتابه «أحوال الرجال» (٢٦٣): «ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف أنكر الأئمة حديثه لسوء مذهبه». اهـ.

د) قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٨٢): «ميناء: ليس بثقة». اهـ.

هـ) نقل الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٨٤٩): عن يحيى بن معين قال: ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف ليس بثقة». اهـ.

٤) رد الإمام الذهبي على الحاكم أبي عبد الله في «التلخيص» (١٦٠/٣- مستدرك): في توثيقه لميناء وعلى أوهامه في جعله صحابيًا فقال: «ما قال هذا بشر سوى الحاكم، وانما ذا تابعي ساقط، ...ثم قال: أفما استحييت أيها المؤلف أن تورد هذه الأخلوقات من أقوال الطرقية فيما يُستدرك على الشيخين». اهـ.

٥) وأخرج هذه القصة ابن عدي في «الكامل» (٤٥٩/٦): عن عبد الرزاق، عن أبيه عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا، وميناء منكر الحديث، متروك ليس بثقة، كذاب، ساقط يغلو في التشيع؛ فالخبر موضوع والقصة واهية.

ومن طريق ابن عدي هذا أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦٨/١٤)، وبهذا تصبح القصة مكذوبة مفتراة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما سبق يتبين أن هذه القصة واهية ولا تصح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وأن أعرف الناس بقدر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وفضائلهم هم أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، فعلى سبيل المثال لا الحصر بمعرفة أهل الحديث والسنة لقدر أهل البيت وفضائلهم ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» ح(٢٤٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (الأحزاب: ٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «حقوق أهل البيت بين السنة والبدعة» ص(١٣) تحت عنوان: «ما لهم وما عليهم» وهذا والله أعلم من التطهير الذي شرعه الله لهم، فإن الصدقة أوساخ الناس فطهرهم الله من الأوساخ. اهـ.

قلت: أما حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما وأخذه تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «كخ، كخ...» الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في «صحيحه» ح(١٤٩١)، ومسلم في «صحيحه» ح(١٠٦٩) من حديث أبي هريرة، وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» ح(١٤٨٥) من حديث أبي هريرة فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجها من فيه فقال: «أما علمت أن آل محمد لا يأكلون من الصدقة»، وفي رواية لمسلم من طريق وكيع عن شعبة قال صلى الله عليه وسلم: «إنا لا تحل لنا الصدقة».

قلت: أما قول شيخ الإسلام بن تيمية: «فإن الصدقة أوساخ الناس» فهو حديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» ح(١٠٧٢) من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

(٩٢٨) «لا همَّ إلا همَّ الدين، ولا وجع إلا وجع العين».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» ص(١/٨٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «طص، حب عن جابر بن عبد الله»: قلت: طص: ترمز إلى «المعجم الصغير للطبراني»، حب: ترمز إلى المجروحين لابن حبان.

فقد أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٣١/٢)، وكذلك في «المعجم الأوسط» (٣٨/٧) ح(٦٠٦١)، ط: دار المعارف بالرياض وقال: حدثنا محمد بن يونس العصفري قال حدثنا قرين بن سهل بن قرين، قال حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله مرفوعًا، ثم قال: «لا يرويه عن محمد بن المنكدر إلا ابن أبي ذئب تفرد به سهل بن قرين». اهـ.

قلت: وسهل بن قرين علة هذا الحديث، فقد أخرج هذا الحديث الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٤٣/٣) (١٢٩/ ٨٦١) قال: حدثنا محمد بن يونس العصفري به، أي اشترك مع الطبراني في شيخه ثم قال: سهل بن قرين منكر الحديث ثم قال: «هذا الحديث منكر باطل إسناده ومتنه». اهـ.

والحديث أخرجه الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٤٦/١) من حديث سهل بن قرين، وقال: يرويه عن ابن أبي ذئب وغيره عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات يلزق المراسيل والمقاطيع بأقوام مشاهير فيسندها عنهم لا يجوز الاحتجاج به. اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/ ٢٤٠/ ٣٥٩١): «سهل بن قرين كذبه الأزدي». اهـ.

(٩٢٩) «شكت الكعبة إلى الله قلة زوارها، فأوحى الله إليها لأبعثن أقوامًا يحنون إليك كما تحنَّ الحمامة إلى أفراخها».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٤٣/٣) من حديث سهل بن قرين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله مرفوعًا، وعلته سهل بن قرين كذبه الأزدي. واتهمه ابن حبان وقال لا يجوز الاحتجاج به، وقال ابن عدي: «هذا الحديث منكر باطل إسناده ومتنه». اهـ.

(٩٣٠) «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد دخل الجنة».

الحديث لا يصح: أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٧٨/١٨) وقال: «هذا حديث كذب موضوع، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث». اهـ.

(٩٣١) «ريق المؤمن شفاء، وكذا سؤر المؤمن شفاء».

الحديث لا يصح: أورده الإمام القاري في «المصنوع» ح(١٤٤) وقال: «ليس له أصل». اهـ.

(٩٣٢) «ألا أدلكم على الخلفاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟ هم حفظة القرآن والأحاديث عني وعنهم، في الله ولله».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٣٤/٢)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» ح(٥٤)، والسهمي في «تاريخ جرجان» ص(٣٧٢) من طريق أبي الصباح عبد الغفور، عن أبي هاشم، عن زاذان، عن علي مرفوعًا. وعلته: عبد الغفور أبو الصباح، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٤٨/٢) كان ممن يضع الحديث على الثقات لا يحل كتابة حديثه ولا الذكر عنه إلا على جهة التعجب. اهـ.

الحلقة 81

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

صفات: (الحب والرضا، والعَجَب والفرح والضحك والنظر) لله تعالى، وأضدادها على الوجه اللائق به.. بين إثبات أهل السنة وتعطيل الأشاعرة

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن اختلاف متكلمة الأشاعرة في أفعاله تعالى من نحو: (رضاه وحبه وفرحه وسخطه وغضبه وكراهته وبغضه.. إلى آخر ذلك)، شبيه باختلافهم في صفة كلامه وسائر أفعاله، فإن هؤلاء المتكلمة - تبعًا للجهمية والمعتزلة - يقولون: (هذه كلها أمور مخلوقة ومحدثة وبائنة عنه، ترجع إلى الثواب والعقاب)، وفي معنى ذلك يقول البيجوري ص٩٧ في شرحه على قول اللقاني: (كذا صفات ذاته قديمة): "وخرج بإضافة (الصفات - يقصد بها: صفات المعاني السبعة - إلى الذات): صفات الأفعال، فليس شيء منها بقديم عند الأشاعرة". بينما أهل السنة على: أن هذه كلها أمور قائمة بذاته تعالى، قديمة الأعيان باعتبار الجنس، وأما باعتبار أنواعها وآحادها فليست بقديمة.

ثم إن من هؤلاء المتكلمة من يجعلها كلها تعود إلى إرادة واحدة بالعين متعلقة بجميع المخلوقات، ومنهم من يقول: بل هي صفات متعددة الأعيان لكن كل واحدة، واحدة العين قديمة قبل وجود مقتضياتها، كما قالوا مثل ذلك في الكلام.. بينما يرى أهل السنة أن هذه صفات كمال لم يزل سبحانه متصفًا بها وإن كانت هذه المقتضيات تحدث وقتًا دون وقت، وأن الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ودليلهم في ذلك قوله سبحانه: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟

رِضْوَانَهُ) (محمد/ ٢٨) حيث أخبر أن أفعال الكفار المحدثة المستجدة أسخطته، وقوله: (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) (الزخرف/ ٥٥) أي: (أغضبونا)، وقوله: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (الفتح/ ١٨)، إلى غير ذلك مما يبين أنه تعالى سخط على الكفار لما كفروا، ورضي عن المؤمنين لمَا آمنوا، كذا أفاده شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٢/ ١٣٣.

أ- إثبات (المحبة والرضا والرحمة) وأضدادها.. بالمناهج العقلية والقواعد المنطقية

ومنه يتبين أنه سبحانه لم يزل متصفًا بالكمال في جميع صفاته - صفات الذات وصفات الفعل - وأنه لا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها، لأن صفاته تعالى صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده.

ولا يَردُ على هذا: تعلق صفات الفعل والصفات الاختيارية - كـ (الخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء والنزول، والغضب والرضا)، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله- بحدوثها وقتًا دون وقت وحصولها بعد أن لم تكن وإلا كان محلًا للحوادث باعتبار أن حدوث الصفة حدوث للموصوف.

لأنا وإن كنا لا ندرك كنه ذلك وحقيقته، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك لما سُئل: كيف استوى؟ فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول).. ومما يدل على حدوث هذه الأحوال والمقتضيات في وقت دون وقت - مما نحن بصدد الحديث عنه-: قوله عليه السلام في حديث الشفاعة: (إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله، ولم يغضب بعده مثله)، فإن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال: (إنه حدث له الكلام)، وأن لو كان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم يقال: (حَدث له الكلام)، فالساكت لغير آفة يسمى متكلمًا بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى: (متكلمًا) بالفعل، وكذلك (الكاتب) في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبًا في حال عدم مباشرته للكتابة.

ب- ابن أبي العز يدحض بقرائن العقل حجج الأشاعرة في ردهم صفات (الغضب والرضا.. وما شابه) بزعم أن إثباتها يستلزم الحدوث والله منزه عن الحوادث:

كذا أفاده شارح الطحاوية، قال ص٥٨ في شرحه قول الإمام الطحاوي: (وكما كان بصفاته أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبديًا): "وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصفٌ متجددٌ لم يكن: فهذا نفي صحيح.. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته: فهذا نفي باطل".

وفي المزيد من كشف أخطاء الأشاعرة وشبهاتهم يقول - رحمه الله -: "أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيُسلم السُني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له، وإنما أتي السَني من تسليم

هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل – على النحو السالف الذكر – لم ينقطع معه". ولعَلم أن الحدوث بهذا الاعتبار الذي ذكرنا غير ممتنع.. إذ بمعرفة هذا التفصيل يُعلم امتناع التلازم المزعوم من أن حدوث الصفة حدوث للموصوف، بل ويُقال: إنَ تعلق بعض الصفات الفعلية بمشيئته وحكمته، دليل كمال عقلاً وشرعًا.

وقد أعقب ابن أبي العز ذلك بمزيد من مناقشة من أطلقوا حلول الحوادث فأنكروا على أثر ذلك صفات الأفعال، وطفقوا بأهوائهم وبما تمخضت عنه عقولهم المختلة يتأولونها ويخرجونها عن ظاهرها إلى ضروب من المجاز، وكان أن توصلوا إلى أن المراد بـ(الغضب والرضا) وما شابه: (إرادة العقوبة أو الاحسان)، ولا ندري ما سبب إنكارهم للصفتين المذكورتين بتأويلهما، وهما مثل (الإرادة) في جواز اتصاف الرب بها؛ كونهما – كالإرادة تمامًا – مخالفتين لما يوصف به المخلوق، وأن كلًا من الثلاث حقيقة تناسب الموصوف؟

جـ- وبقرائن العقل أيضا.. ابن تيمية يدلي بدلوه في رد عادية من ألزموا فجعلوا حدوث الصفة حدوثا للموصوف:

إذ يقول في (الرسالة الأكملية) وابَان رده هذه الشبهة وفي معرض مناقشته لها: "وأما قول القائل: لو قامت به الأفعال لكان محلًا للحوادث، والحادث إن أوجب له كمالًا فقد عُدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالًا لم يجز وصفه به.. فيقال:

أولًا: هذا مُعارض بنظيره من الحوادث التي يفعلها كـ(الخلق)، فإن كليهما حادث بقدرته ومشيئته وانما يفترقان في المحل.

ويقال ثانيًا في إبطال قول من جعل حدوث الحوادث ممتنعًا: هذا مبني على تجدد هذه الأمور بتجدد الإضافات والأحوال والإعدام؛ فإن الناس متفقون على تجدد هذه الأمور.

ويقال ثالثًا: الكمال الذي يجب اتصافه به، هو: الممكن الوجود، وأما الممتنع؛ فليس من الكمال الذي يتصف به موجود، والحوادث المتعلقة بقدرته ومشيئته يمتنع وجودها جميعا في الأزل؛ فلا يكون انتفاؤها في الأزل نقصًا؛ لأن انتفاء الممتنع ليس بنقص.

ويقال رابعًا: إذا قُدر ذاتٌ تفعل شيئًا بعد شيء وهي قادرة على الفعل بنفسها، وذات لا يمكنها أن تفعل بنفسها شيئًا؛ بل هي كالجماد الذي لا يمكنه أن يتحرك، كانت الأولى أكمل من الثانية، فعدم هذه الأفعال نقص بالضرورة، وأما وجودها بحسب الإمكان فهو الكمال.

ويقال خامسًا: لا نسلم أن عدم هذه مطلقًا نقص ولا كمال، ولا وجودها مطلقًا نقص ولا كمال؛ بل وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته وقدرته وحكمته: هو الكمال ووجودها بدون ذلك: نقص، وعدمها مع اقتضاء الحكمة عدمها: كمال، ووجودها حيث اقتضت الحكمة وجودها: كمال، واذا كان الشيء الواحد يكون وجوده تارة كمالًا وتارة نقصًا، وكذلك عدمه، بطل التقسيم المطلق، وهذا كما أن الشيء يكون رحمة بالخلق إذا احتاجوا إليه كالمطر، ويكون عذابًا إذا ضرهم فيكون إنزاله لحاجتهم رحمة واحسانًا والمحسن الرحيم متصف بالكمال، ولا يكون عدم إنزاله – حيث يضرهم – نقصًا بل هو أيضًا رحمة واحسان، فهو محسن بالوجود حين كان رحمة، وبالعدم حين كان العدم رحمة" ا.هـ بتصرف.

والى لقاء والحمد لله رب العالمين.

التوكل واليقين في الشدائد خيرُ معِين

الحمد لله، الحمد لله الذي بلطفه تنكشف الشدائد، وبالتوكل عليه يندفع كيدُ كل كائد، أحمده -سبحانه- وأشكره، وأسأله المزيدَ من فضله وكرمه، وأشهد ألَّا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له في كل شيء آية، تدل على أنه الواحد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، إمام كل عالِم وعابِد، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، أهل المكارم والمحامد، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد معاشر المؤمنين: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فهي الزاد ليوم المعاد: (ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ) (هُود: ١٠٣-١٠٥).

أمةَ الإسلام: أخرَج الإمامُ البخاريُّ في صحيحه: من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، أن إبراهيم -عليه السلام-، جاءَ بأمِّ إسْماعيلَ وهيَ تُرْضِعُهُ، حتَّى وَضَعَهُمَا بمَكَّةَ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ، ولَيْسَ بمَكَّةَ يَوْمَئذٍ أحَدٌ، ولَيْسَ بهَا مَاءٌ،

إعداد **د. ماهر بن حمد المعيقلي**

خطيب المسجد الحرام

فَوَضَعَهُمَا هُنَالكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُما جِرَابًا فيه تَمْرٌ، وَسِقَاءً فيه مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ، فَقالَتْ: يا إبْرَاهِيمُ، أيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا بهذا الوَادِي، الذي ليسَ فيه إنْسٌ ولَا شيءٌ؟ فَقالَتْ له ذلكَ مِرَارًا، وجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا، فَقالَتْ له: آللَّهُ الذي أمَرَكَ بهذا؟ قالَ نَعَمْ. قالَتْ: إذَنْ لا يُضَيِّعُنَا. كلمةٌ عظيمةٌ، تُنبئ عن توكُّل عظيم، إذا كان اللهُ أمرَك بهذا، فلن يضيِّعنا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إبْرَاهِيمُ -عليه السلام-، حتَّى إذَا كانَ بمكانٍ لا يَرَوْنَهُ فيه، استقبَل بوجهِه البيتَ، ورفَع يديه وقال: (رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبْرَاهِيم: ٣٧)، وفي الحديث: "فجاء المَلَكُ إلى أمِّ إسماعيلَ، فبَحَث بعَقِبه أو قال بجَنَاحه الأرضَ، حتَّى ظهَرت زمزمُ، فقال: لا تخافوا الضَّيْعةَ؛ فإنَّ ها هُنَا بيتَ اللَّهِ، يَبْنيه هذا الغُلامُ

وَأَبوهُ، وإنَّ اللَّه لا يُضيعُ أهلَهُ".

معاشر المؤمنين: لقد مرت الشدائد والمحن، بأفضل البشر، من الأنبياء والمرسلين، فقابلُوها بالتوكل واليقين، والثبات على الحق المبين، فالأنبياء والرسل، هم أعظم الناس توكُّلا على الله: لعلمهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويقينهم وثقتهم به، فقالوا لأقوامهم: (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (إبراهيم: ١٢)، فكانت العاقبة لهم، والندامة والخسارة لأعدائهم.

وهذا إمام المتوكلين، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، فقد كان المثل الأعلى في التوكل على ربه، وتفويض الأمر إليه، في جميع شؤونه وأحواله، ممتثلا لقوله: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) (الفُرقان: ٥٨)، وكان يقول في دعائه: "اللهُمَّ لكَ أسلمْتُ، وبكَ آمنْتُ، وعليكَ توكَّلتُ" (رواه البخاري ومسلم)، وفي الصحيحين ومسند الإمام أحمد، عن جابر -رضي الله عنه- قال: "نَزَلَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- تحْتَ سَمُرةٍ وعلَّقَ بها سيْفَهُ، ونمْنا نوْمةً، فإذا رسُولُ اللَّه -صلى اللَّهُ عليْه وسلَّم- يدْعونا، وإذا عنْدهُ أعْرابيٌّ، فقال: "إنَّ هذا اخْترطَ عليَّ سيْفي، وأنا نائمٌ، فاسْتيْقظْتُ وهُو في يده صلْتًا، فقال: منْ يمْنعُكَ منِّي؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بجواب المتوكل على ربه فقلتُ: اللَّهُ، ثم قال في الثانية: منْ يمْنعُكَ منِّي؟ قال: قلتُ: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "من يمنعك مني؟ قال: كن كخير آخذ، قال: أتشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكن أعاهدك على ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فعفا عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وخلى سبيله.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبدُ ما لا يطيق، من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك: فإن الله حسبُه: أي: كافيه، ومنْ كان اللَّهُ كافيَهُ وواقيَه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه: كالحرّ والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضرّه بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا".

إخوة الإيمان: إنَّ ممَّا يبعث التوكل في قلب العبد، معرفة الله بأسمائه وصفاته، فمنْ كان بالله وصفاته أعلم، كان توكُّله عليه أكمل، فمن أسماء الله -تعالى- الحسنى "الوكيل": الذي جميعُ المخلوقات تحت وكالته وتدبيره، وهو جلَّ جلالُه وتقدست أسماؤه، الكفيل بأرزاقهم، القائم بما يُصلحُهم، فله وحده الخلقُ والأمرُ، فكفى به وليًا لمن أناب إليه، وناصرًا ومعينًا لمن توكَّل عليه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) (المُزَّمل: ٩)، (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الأنعام: ١٠٢).

فما أحوج الأمة اليوم، مع انتشار الأمراض العضوية، والنفسية والاجتماعية، ودواعي القلق والمخاوف، ما أحوجها إلى معرفة حقيقة التوكل على الله، وصدق الاعتماد عليه، في جلب المنفعة ودفْع المضرة، في أمور الدنيا والآخرة، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، فالتوكُّل من أعظم العبادات، وأجلُّ القربات، وهو أعلى مقامات التوحيد وأجلُّها، وأشرف الطاعات وأعظمها، والدِّينُ قسمان: استعانةٌ وعبادةٌ: فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، وذلك في قول الرب -تبارك وتعالى-: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥)، بل لا يقوم الدِّين إلا على التوكل: فمنزلةُ التوكلِ من الدِّين، كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأسُ إلا على الجسد، فكذلك لا يقوم الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ إلا على التوكل، (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (هُود: ١٢٣).

والخير الكثير، والرزق الوفير إنما يأتي بالتوكل على الكريم الخبير: ففي مسند الإمام أحمد، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لوْ أنَّكُمْ تتوكَّلُونَ على الله حقَّ توكُّله، لرَزَقَكُمْ كمَا يرْزُقُ الطَّيْرَ، تغْدُو خمَاصًا وتَرُوحُ

بطائنًا"، وكيف يخاف العبد من فوات الرزق، والخالق -جل جلاله- وكيله، وهو القائل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) (فاطر: ٣)، فمن تعرف على الله لم يلذ بغيره، ولا يركن إلى سواه، ومن آوى إلى الوكيل فقد آوى إلى ركن شديد.

أمة الإسلام: إن التوكل على الله، يُورث الرضا بالقضاء والقدر، فمنْ توكّل على الله حقّ توكله، رضي بأقداره، ونال رضاه ومحبته، وبوّأه جنته: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النّحل: ٤١-٤٢)، بل المتوكلون يدخلون الجنة بغير حساب، ففي الصحيحين، أنّ رسُول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "يدخلُ الجنَّة منْ أمّتي سبْعون ألفا بغيْر حساب"، قالوا: منْ همْ يا رسُول الله؟ قال: "همْ الذين لا يسْترْقُون، ولا يتطيّرون، ولا يكْتوُون، وعلى ربّهمْ يتوكّلون".

فمن اتخذ الله وكيلا، اطمأنّ قلبُه، وسكنت نفسُه، وقرّت عينُه، وصلح بالُه: لعلمه أن الأمر كله بيد الله، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وفي سنن الترمذي، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "واعْلمْ أنّ الأمّة لو اجْتمعتْ على أنْ ينْفعُوك بشيْءٍ لمْ ينْفعُوك إلا بشيْءٍ قدْ كتبهُ اللّهُ لك، ولو اجْتمعُوا على أنْ يضُرُّوك بشيْءٍ لمْ يضُرُّوك إلا بشيْءٍ قدْ كتبهُ اللّهُ عليْك، رُفعت الأقْلامُ وجفّت الصُّحُفُ".

فيا عبد الله: توكّل على ربك يكفك، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٢-٤).

معاشر المؤمنين: إنّ تحقيق التوكل على الله، لا ينافي العمل والأخذ بالأسباب المشروعة، مع عدم الاعتماد عليها، فمن ترك الأسباب المأمور بها، فهو عاجزٌ مفرّطٌ مذمومٌ، والمتوكلون في كتاب الله هم العاملون: ففي صحيح البخاري، عن ابن عبّاسٍ -رضي اللّهُ عنْهُما- قال: "كان أهْلُ اليمن يحُجُّون ولا يتزوّدُون، ويقُولُون: نحْنُ المُتوكّلُون، فإذا قدمُوا مكّة، سألُوا النّاس، فأنْزل اللّهُ -تعالى-: (وتزوّدُوا فإنّ خيْر الزّاد التّقْوى)، والأنبياء -عليهم السلام-، مع أعظم الناس توكّلا على ربهم، كانوا يأخذون بالأسباب، فنوحٌ -عليه السلام-، صنع السفينة، وأحسن التدبير يوسف -عليه السلام- لإنقاذ مصر من المجاعة، وضرب موسى -عليه السلام- البحر بعصاه.

وكان إمامُ المتوكلين -عليه الصلاة والسلام-، يباشر الأسباب، ويأمر بفعلها ومباشرتها، فتداوى وأمر بالتداوي، وأمر بإطفاء النار عند المبيت، وقال: "منْ يحْرُسُنا اللّيْلة؟"(كما في سنن أبي داود)، وفي حادثة الهجرة، أخذ -صلى الله عليه وسلم- بالأسباب الممكنة: فهيأ منْ يبيت على فراشه، ومنْ يرافقه في رحلته، والغار الذي يختبئ فيه، ووقف كفارُ قريش على باب الغار، فقال أبو بكْر -رضي اللّهُ عنْهُ-: يا رسول الله، لو أنّ أحدهُمْ نظر تحت قدميْه لأبْصرنا، فقال النّبيُّ -صلّى اللّهُ عليْه وسلّم-: "ما ظنُّك يا أبا بكْر باثْنيْن اللّهُ ثالثُهما"(رواه البخاري). (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التّوْبة: ٤٠).

اللهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعلنا ممن دعاك فأجبته، واستهداك فهديته، واستجار بك فأجرته، وتوكل عليك فكفيته، اللهم ارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك يا أرحم الراحمين.

نعم الصاحبُ العمل الصالح

إعداد الشيخ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، قال تعالى: "إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبة: ٤٠).

الهجرة كلها دروس وعظات هيا نحاول أن نطوف حول درس واحد من دروس الهجرة قوله تعالى: (إذْ يَقُولُ لصاحبه) نتعلم من هذه الآية حُسن اختيار الأصحاب؛ لأن نفعهم يدوم في الدنيا والآخرة.

هيا بنا نحاول البحث عن الأصحاب الذين يصحبوننا ويعينوننا في كل الأوقات، ولا يتخلون عنا أبداً عند الأزمات في الدنيا والقبر ويوم يقوم الأموات. وخير الأصحاب العمل الصالح لله تعالى، قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ" (النحل:٩٧): (فلنُحْيِيَنَّهُ حيَاةً طيِّبة) وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب. (السعدي ١/٤٤٨).

حياة طيبة لا تنغيص فيها، تغمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا، والشكر على نعم الله فيها. (المنتخب ١/٤٠٢).(ولنَجْزِيَنَّهُمْ أجْرهُمْ بأحْسَن ما كانُوا يعْمَلُون) التمتع بنعيم الجنة في الآخرة).

من الأعمال الصالحة الجامعة تقوى الله تعالى:

الْمُتَّقي: هو مَنْ سَلَكَ سَبيل الْمُصْطفى، وَنبَذَ الدُّنْيا وَرَاءَ الْقَفا، وَكَلَّفَ نَفْسَهُ الإِخْلاصَ وَالْوفا، وَاجْتَنَبَ الْحرام وَالْجفا. (مفاتيح الغيب ٢/٢٦٨). تقوى الله هي عمل الدين كله.

من ثمرات تقوى الله في الدنيا مثلاً:

١- يكفى أن الله معه هادياً ومؤيداً وناصراً ومعيناً: قال تعالى: "وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ" (البقرة ١٩٤).

٢- حل المشكلات وتوسيع الأرزاق: قال تعالى: "وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (الطلاق: ٢-٣).

٣- السهولة واليسر في كل أمر: قال تعالى: "وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا" (الطلاق:٤).

ثانيا: العمل الصالح يصحبك في القبر:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ

وَيَبْقَى عَمَلُهُ» رواه البخاري (٦٥١٤) ومسلم (٢٩٦٠).

- الكل سيتركك في القبر من مال وولد إلا عملك الصالح سيصحبك ويدافع عنك في القبر ولا يتخلى عنك حتى تسعد في القبر ويفتح لك باب الجنة:

١- عَن الْبَراء بْن عَازب قَال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم في جَنَازَة رَجُل مِنَ الأَنْصَار فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْر وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ قَالَ.. وَيُمَثَّلُ - العبد المؤمن- لَهُ عَمَلُهُ في صُورَة رَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْه طَيِّبِ الرِّيح حَسَنِ الثِّيَاب فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، أَبْشِرْ بِرِضْوَانِ اللَّه وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ فَيَقُولُ: بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي جَاءَ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ: هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ وَالأَمْرُ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ سَرِيعًا في طَاعَةِ اللَّه بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّه فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ كَيْ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي. (مسند أبي داود الطيالسي ٧٨٩، صحيح الترغيب ٣٥٥٨).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ في قَبْرِه، إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ: فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ آذَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، مَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟. فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنِي عَمَّا نَسْأَلُكَ

> “تقف الملائكة على أبواب الجنة تنادي على الطائعين ليدخلوا الجنة من أبواب الأعمال الصالحة.”

عنْهُ أرأيْتكَ هذا الرّجُل الّذي كانَ فيكُمْ: ما تقُولُ فيه، وماذا تشْهدُ عليْه؟. فيقُولُ: مُحمّدٌ، أشْهدُ أنّهُ رسُولُ اللّه، وأنّهُ جاء بالحقّ منْ عنْد الله. فيُقالُ لهُ: على ذلكَ حييت، وعلى ذلكَ متّ، وعلى ذلكَ تُبْعثُ إنْ شاء اللّهُ. ثُمّ يُفْتحُ لهُ بابٌ منْ أبْواب الْجنّة، فيُقالُ لهُ: هذا مقْعدُكَ منْها، وما أعدّ اللّهُ لكَ فيها، فيزْدادُ غبْطةً وسُرُورًا، ثُمّ يُفْتحُ لهُ بابٌ منْ أبْواب النّار، فيُقالُ لهُ: هذا مقْعدُكَ منْها، وما أعدّ اللّهُ لكَ فيها لوْ عصيْتهُ، فيزْدادُ غبْطةً وسُرُورًا، ثُمّ يُفْسحُ لهُ في قبْره سبْعُونَ ذراعًا، ويُنوّرُ لهُ فيه. (صحيح ابن حبان ٣١١٣، وصحيح الترغيب ٣٥٦١).

> “الكل سيتركك في القبر من مال وولد إلا عملك الصالح سيصحبك ويدافع عنك في القبر ولا يتخلى عنك حتى تسعد في القبر ويفتح لك باب الجنة.”

ثالثا: العمل الصالح يقف معك يوم القيامة:

١- يظلل عليك من شمس يوم القيامة:

عنْ أبي هُريْرة، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "سبْعةٌ يُظلُّهُمُ اللّهُ في ظلّه، يوْم لا ظلّ إلا ظلُّهُ: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأ في عبادة ربّه، ورجُلٌ قلْبُهُ مُعلّقٌ في المساجد، ورجُلان تحابّا في الله اجْتمعا عليْه وتفرّقا عليْه، ورجُلٌ طلبتْهُ امْرأةٌ ذاتُ منْصبٍ وجمالٍ، فقال: إنّي أخافُ الله، ورجُلٌ تصدّق، أخْفى حتّى لا تعْلم شمالُهُ ما تُنْفقُ يمينُهُ، ورجُلٌ ذكر الله خاليًا ففاضتْ عيْناهُ" رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

٢- يدافع عنك أمام الملك الديان في ساحة الحساب:

عنْ عبْد اللّه بْن عمْرو رضي اللّه عنهما قال: قال رسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: الصّيامُ والْقُرْآنُ يشْفعان للْعبْد يوْم الْقيامة، يقُولُ الصّيامُ: أيْ ربّ منعْتُهُ الطّعام والشّهوات بالنّهار، فشفّعْني فيه، ويقُولُ الْقُرْآنُ: منعْتُهُ النّوْم باللّيْل فشفّعْني فيه، قال: فيُشفّعان" صحيح الجامع (٣٨٨٢).

٣- دخول الجنة: قال تعالى: "تلْك الْجنّةُ الّتي نُورثُ منْ عبادنا منْ كان تقيًّا" (مريم ٦٣).

- تقف الملائكة على أبواب الجنة تنادي على الطائعين ليدخلوا الجنة من أبواب الأعمال الصالحة. عنْ أبي هُريْرة رضي الله عنْهُ، أنّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: "منْ أنْفق زوْجيْن في سبيل الله، نُودي منْ أبْواب الْجنّة: يا عبْد الله هذا خيْرٌ، فمنْ كان منْ أهْل الصّلاة دُعي منْ باب الصّلاة، ومنْ كان منْ أهْل الجهاد دُعي منْ باب الجهاد، ومنْ كان منْ أهْل الصّيام دُعي منْ باب الرّيّان، ومنْ كان منْ أهْل الصّدقة دُعي منْ باب الصّدقة. رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

٤- نعيم الجنة:

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" (الكهف:١٠٧- ١٠٨).

«لا يبغون عنها حولاً» أي: تحولاً ولا انتقالاً؛ لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيماً فوق ما هم فيه.

نسأل الله أن يجعلنا وآباءنا وأمهاتنا من أهل الجنة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شبهة قسوة الشريعة بقتل الكلاب.. والرد عليها

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

وبعد: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يأمُرُ بقَتْلِ الكِلابِ، فَنَنْبَعِثُ في المَدينَةِ وأطْرافِها فلا نَدَعُ كَلْبًا إلَّا قَتَلْناهُ، حتَّى إنَّا لَنَقْتُلُ كَلْبَ المُرَيَّةِ - تصغير المرأة- مِن أهْلِ البادِيَةِ يَتْبَعُها" (رواه مسلم).

وعن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قالت: "إنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ أصْبَحَ يَوْمًا واجِمًا، فقالَتْ مَيْمُونَةُ: يا رَسولَ اللهِ، لقَدِ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ اليَومِ، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: إنَّ جِبْرِيلَ كانَ وعَدَنِي أنْ يَلْقانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَنِي، أمَ واللَّهِ ما أخْلَفَنِي، قالَ: فَظَلَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ يَومَهُ ذلكَ على ذلكَ، ثُمَّ وقَعَ في نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطاطٍ لَنا، فأمَرَ به فأُخْرِجَ، ثُمَّ أخَذَ بيَدِهِ ماءً فَنَضَحَ مَكانَهُ، فَلَمَّا أمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، فقالَ له: قدْ كُنْتَ وعَدْتَنِي أنْ تَلْقانِي البارِحَةَ، قالَ: أجَلْ، ولَكِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ، فأصْبَحَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ يَومَئذٍ فأمَرَ بقَتْلِ الكِلابِ، حتَّى إنَّه يَأْمُرُ بقَتْلِ كَلْبِ الحائِطِ الصَّغِيرِ، ويَتْرُكُ كَلْبَ الحائِطِ الكَبِيرِ" (رواه مسلم).

قد يتهم البعض الإسلام بأنه دين القسوة؛ إذ كيف يأمر نبيه بقتل كل الكلاب بغير ذنب جنته، ويقوم أصحابه بإعدام الكلاب

حتى الصغيرة منها، وتأتي النساء بها طواعية ليقوموا بإعدامها، ونرد على هذه الشبهة من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقدم على قتل الكلاب من تلقاء نفسه، وإنما بوحي من الله عز وجل، ثم نسخ الحكم بقوله صلى الله عليه وسلم: " لولا أن الكلابَ أمةٌ من الأممِ لأمرتُ بقتلها، فاقتلوا منها الأسودَ البهيمَ، وأيُّما قومٍ اتخذوا كلبًا ليس بكلبِ حرثٍ، أو صيدٍ، أو ماشيةٍ، فإنه ينقصُ من أجرِه كلَّ يومٍ قيراطٌ"(رواه النسائي وصححه الألباني).

ومن ثم فهو منفذ لأمر ربه الذي خلق الخلق، وله أن يتحكم فيه كيفما شاء، ولا اعتراض عليه فيما قضى أو حكم، فكذلك إذا كان هذا حكمه في الكلاب فلا اعتراض عليه، لأنه لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.

الوجه الثاني: إن من مقاصد الشريعة التي جاء الإسلام بها حفظ الضروريات الخمس، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وحفظ الدين مقدم على ما عداه من باقي الضروريات، لأنه أعظمها، وما خلق الجن والانس إلا لعبادة الله، واقامة دينه، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل أنه لا يدخل بيتًا فيه كلب، ولا صورة، بعدما تأخر عليه ولم يأته في موعده، وجبريل هو أمين السماء، الموكل بالوحي، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستأصل المانع من دخول جبريل لبيته، أو النزول بالمدينة عن طريق قتل الكلاب؛ كيلا يعوقه أحد عن تبليغ رسالة الله، حفظا للدين، وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الفعل، بل إن الغرب غير المسلم الذي يتشدق بالرحمة، والرفق بالحيوانات، هم أول من تخلصوا منها لحفظ النفس، وهي الضرورة الثانية من الضروريات الخمس، والتالية في الأهمية لحفظ الدين، ولم ينكر عليهم أحد ما أقدموا عليه من قتل للحيوانات حفظًا لأنفسهم.

> “ إن من مقاصد الشريعة التي جاء الإسلام بها حفظ الضروريات الخمس، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال. ”

مع أن بعض هذه الحيوانات سخرها الله عز وجل للبشر، وجعلها طعامًا لهم، بخلاف الكلاب التي لا يجوز أكلها، وليس أدل على ذلك من الآتي:

١- قيام الدنمارك بإعدام ١٧ مليون من حيوان المنك خوفاً من انتشار سلالة جديدة من فيروس كورونا، ولم ينكر عليها أحد، أو يتهمها بالقسوة مع الحيوانات، جاء بموقع "العربية" بالشبكة العنكبوتية: "الدنمارك تعدم نحو ١٧ مليونًا من حيوان المنك لمخاوف من سلالة جديدة من كورونا موقع بالعربية دبي، الإمارات العربية المتحدة (CNN) تخطط الحكومة الدنماركية للقضاء على جميع أنواع حيوانات المنك في البلاد بعد رصد سلالة جديدة من فيروس كورونا المستجد يمكنها الانتقال إلى البشر.

وقالت رئيسة وزراء الدنمارك، مته فريدريكسن: إن القرار اتخذ "بقلب حزين"، ولكنه كان ضروريًا بناء على توصية من السلطات الصحية. وتعد الدنمارك أكبر منتج لفراء المنك في العالم.

ونفذت عملية إعدام لمليون من حيوانات المنك في دائرة نصف قطرها ٨,٤ كيلومترا من العدوى المزروعة المشتبه بها أو المؤكدة في أكتوبر/ تشرين الأول الماضي.

كما تم إعدام حيوانات المنك في كل من هولندا واسبانيا بعد اكتشاف إصابتها بعدوى فيروس كورونا هناك.

٢- قيام ألمانيا والاتحاد الأوروبي بإعدام قرابة ٢ مليون بقرة، جاء بموقع "الجزيرة" بالشبكة العنكبوتية:

"ألمانيا تعتزم إعدام نحو ٤٠٠,٠٠٠ بقرة. أعلنت الحكومة الألمانية أنها تعتزم إعدام نحو ٤٠٠,٠٠٠ بقرة في مسعى لاستعادة الثقة في سوق اللحوم بألمانيا الذي تأثر بشدة بسبب مرض جنون البقر، وقالت الحكومة: إنها سوف تنضم لبرنامج الاتحاد الأوروبي الرامي لاستعادة الثقة في منتجات لحوم الأبقار الذي يقضي بإعدام الأبقار الكبيرة في السن، ومن المقرر إعدام نحو ١,٥ مليون بقرة في دول الاتحاد الأوروبي خلال ٣٠ شهرا، وسوف يشارك المزارعون في البرنامج على أساس طوعي، وصرحت متحدثة باسم وزارة الزراعة الألمانية بأنه لم يتضح بعد عدد الأبقار التي سيتم إعدامها تحديدًا" اهـ.

٣- إعدام دول العالم للدجاج خشية الإصابة بإنفلونزا الطيور، جاء بموقع "المصري اليوم" بالشبكة العنكبوتية: "العالم يواجه إنفلونزا الطيور: "إعدامات ونفوق الملايين" تواجه العديد من الدول انتشار إنفلونزا الطيور، الذي تتزايد الإصابات به منذ مطلع يناير الحالي.

إنفلونزا الطيور.. اليابان تعدم الملايين من طيور الدجاج.

> في حالات انتشار الأوبئة التي يتكاتف فيها العالم للتخلص من الحيوانات، والطيور على مستوى العالم، ولا ينكر عليهم أحد صنيعهم هذا حفظا لأنفسهم من الهلاك، فحفظ الدين من باب أولى.

فيما أعلنت سلطات كوريا الجنوبية إتمام التخلص من ١٨,٨ مليون من طيور المزارع في البلاد لمنع انتشار سلالة شديدة الخطورة من إنفلونزا الطيور.

وأمرت وزارة الزراعة والغذاء والشؤون الريفية بالتخلص من الطيور على هامش انتشار سلالة جديدة من فيروس (H ٥N٨) الذي تم رصده في نوفمبر الماضي، والذي تسبب في ٦٦ حالة عدوى بين الطيور في أجزاء مختلفة من البلاد.

واضطرت جميع المزارع التي تقع في دائرة نصف قطرها ٣ كيلومترات من المزارع الأخرى التي اكتشفت بها حالات عدوى من التخلص من طيورها.

وأعدمت السلطات السنغالية، ٥٠ ألف دجاجة أخرى في تلك المزرعة، في إطار حملة تطهير لاحتواء الفيروس تجنبًا لانتقاله لمزارع أخرى، واحتمال وصوله إلى البشر.

٤- إعدام ٩٤٣٨ حيوانًا في مختبرات بريطانيا: جاء بموقع "الجمهورية" بالشبكة العنكبوتية: "كشفت صحيفة صندي بيبول أن آلاف الحيوانات تنفق كل عام في الاختبارات السرية التي تجريها وزارة الدفاع البريطانية، نتيجة تعريضها للمتفجرات والسموم.

وذكرت الصحيفة أن ما يقرب من ٢٨ ألف قرد وخنزير من فصيلة القرود الغينية نفقت على يد علماء وزارة الدفاع البريطانية خلال ثلاثة أعوام من التجارب العسكرية المثيرة للجدل، تم خلالها تزويد خنازير بدروع واقية للجسم وتفجيرها، وحقن قرود بعوامل بيولوجية قاتلة، وتسميم خنازير غينية بغاز الأعصاب.

وأوضحت أن التجارب أجريت على هذه الحيوانات في مختبر التكنولوجيا وعلوم الدفاع السري التابع لوزارة الدفاع البريطانية في منشأة بورتون داون بمقاطعة ويلتشاير، واعترف مسؤولون عسكريون بأن العديد من الحيوانات عانت من آلام سببت لها معاناة كبيرة لفترات طويلة قبل إعدامها.

وأشارت الصحيفة إلى أن اختبارات سرية أخرى أجريت أيضًا على كلاب عسكرية لمعرفة مدى تأقلمها مع درجات الحرارة المختلفة.

ولفتت إلى أن بيانات حصلت عليها من وزارة الدفاع البريطانية بموجب قانون حرية المعلومات، كشفت أيضًا أن ٣٧٩ قردًا من فصيلة القرود الأميركية، و٤٧ قردًا من فصيلة قرود المكاك، و٣٠٣ خنزير، و١٢٣ أرنبًا، و١٢٤١ قردًا من فصيلة القرود الغينية، وآلاف الفئران والجرذان، نفقت في التجارب السرية للوزارة خلال الفترة بين ٢٠١٠ و ٢٠١٢.

وأضافت الصحيفة أن ما مجموعه ٩٤٣٨ حيوانًا أعدم في المختبرات في عام ٢٠١٠، و٨٧٢٢ في عام ٢٠١١، ونفق ٨٨٣٠ حيوانًا أو أعدم بطريقة إنسانية في عام ٢٠١٢، في حين رفضت وزارة الدفاع البريطانية إعطاء أي تفاصيل عن عدد برامج الاختبارات السرية في منشأة بورتون داون، لكنها اعترفت بأن ستة منها ممولة من قبل وكالات الدفاع الأميركية”.

الوجه الثالث: أن إعدام النبي صلى الله عليه وسلم للكلاب لم يكن تخلصًا منها بالكلية على مستوى العالم، فغاية ما هنالك تخلصا منها في أرجاء المدينة فقط، مع بقاء الكلاب في جزيرة العرب، وسائر دول وقارات العالم في ذلك الوقت، بخلاف حالات انتشار الأوبئة التي يتكاتف فيها العالم للتخلص من الحيوانات، والطيور على مستوى العالم، ولا ينكر عليهم أحد صنيعهم هذا حفظا لأنفسهم من الهلاك، فحفظ الدين من باب أولى.

الوجه الرابع: أن الأمر بقتل الكلاب كلها نسخ بالتخفيف بعدم قتلها إلا الكلب الأسود البهيم ذو النقطتين، والكلب العقور، وبقى تحريم الاقتناء في حق سائر الكلاب إلا ما دعت الحاجة أو المصلحة إلى اقتنائه.

> “الأمر بقتل الكلاب كلها نسخ بالتخفيف بعدم قتلها إلا الكلب الأسود البهيم ذو النقطتين، والكلب العقور.”

الوجه الخامس: تواترت الأدلة على الرفق بالحيوانات، فهذه امرأة دخلت النار في هرة حبستها، فلم تطعمها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض، وهذه بغي من البغايا تدخل الجنة في كلب سقته، بل وبين النبي صلى الله أن الله كتب الإحسان على كل شيء، وأمر بالإحسان في القتل والذبح، وإراحة الذبيحة، وحد الشفرة لئلا تعذب الذبيحة عند موتها، ومع كل هذا الرفق والرحمة بالحيوانات، والذي ليس له مثيل في أي شريعة أخرى، سماوية، أو أرضية، إلا أنه إذا تعارضت حياة الحيوانات مع حفظ الدين، أو النفس، أو غيرهما قدم حفظ هذه الضروريات على حفظ حياة الحيوانات، كما فعل، ويفعل الغرب الآن للحفاظ على شعوبه من نقل العدوى، والفيروسات لهم عن طريقهم، فلا يقبل منهم بعد ذلك التشدق بقسوة الشريعة الإسلامية في معاملتها للحيوانات.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

إعداد **صلاح نجيب الدق**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد: فقد بدأ تاريخ المسلمين لأنفسهم بسنة هجرة النبي صلي الله عليه وسلم.

وهذه بعض الدروس المستفادة من هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم، ليضعها المسلم أمام عينيه ويسير على ضوئها في حياته فيسعد في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله التوفيق:

(١) أعداء الإسلام لنا بالمرصاد:

أعداء الإسلام في كل مكان وزمان للمسلمين بالمرصاد، وهذه حقيقة ثابتة منذ أن أشرقت شمس الإسلام على العالم، ويتضح ذلك جلياً في سبب هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بدينهم من مكة إلى المدينة، حيث تحمل نبينا صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لا يتحمله بشر، وكذلك أصحابه الكرام مثل، بلال، وياسر وعمار وسمية وغيرهم حيث منعهم المشركون من إقامة شعائر الإسلام. لقد اجتمع المشركون في دار الندوة لإعداد خطة يتخلصون بها من نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد. قال الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) (الأنفال: ٣٠).

(٢) وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام:

إذا كان المسلم الذي يعيش في بلاد غير المسلمين ولا يتمكن من إقامة شعائر الإسلام علانية، وجب عليه الهجرة إلى بلاد الإسلام ليتمكن من إظهار شعائر دينه فيها، ويظهر ذلك في هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من مكة، فلما منعهم المشركون من إظهار الإسلام والدعوة إليه، هاجروا إلى المدينة، فأقاموا فيها دولة الإسلام وعبدوا الله تعالى علانية وأخذوا يدعون الناس للدخول في الإسلام.

(٣) الهجرة من المعصية إلى الطاعة:

إن من أعظم الدروس المستفادة من الهجرة للمسلم الذي يعيش في بلاد الإسلام هي هجرة المعاصي والذنوب إلى طاعة الله تعالى والتوبة النصوح والندم على ما فرط في حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم، وحق نفسه وحق المسلمين. قال الله تعالى: (وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ

جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١).

(٤) حسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة

إن حسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب يظهر جلياً في إعداد نبينا لخطة الهجرة إلى المدينة، وإعداد أبي بكر الصديق للراحلتين مسبقاً واستئجار نبينا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أريقط المشرك ليكون دليلاً له أثناء الهجرة، ثم إنه أمر علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه في ليله الهجرة، ليظن المشركون أن نبينا صلى الله عليه وسلم لا يزال نائماً في فراشه.

(٥) الصبر على الأذى من أجل الإسلام

يظهر ذلك بصورة واضحة في هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بلدهم مكة المكرمة وهي أحب بلاد الله تعالى إلى الله تعالى وهي التي ولدوا فيها وعاشوا فيها، وذلك من أجل الإسلام. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمَكَّةَ: مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٣٠٨٣).

ويظهر هذا الدرس أيضاً في موقف أبي بكر الصديق أثناء الهجرة حيث كان أبو بكر يتمنى أن يفتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحياته وبكل ما يملك ابتغاء وجه الله تعالى.

(٦) الشباب الصادق هم دعائم الإسلام:

الشباب المسلم الصادق، من الرجال والنساء، من أصحاب العقيدة الصحيحة، هم دائماً دعائم الإسلام. ويظهر هذا واضحاً في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق وتعرضها للأذى من أبي جهل، وفيما قام به عبد الله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة حيث كانا يحملان أخبار مكة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي موقف علي بن أبي طالب الذي استخلفه رسول الله لينام في فراشه حتى يخدع المشركين. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٨٩).

(٧) حسنُ اختيار الصديق والرفيق:

ينبغي للمسلم أن يحسن اختيار صديقه ومن يرافقه في السفر بحيث يكون مسلماً صالحاً أميناً، ناصحاً لغيره من الناس، ويظهر ذلك في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق لكي يكون مرافقاً له في هجرته من مكة إلى المدينة. ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر بأخلاق وأفعال من يرافقه، ولذا حثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على حسن اختيار الصديق. روى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ" (مسند أحمد جـ٢ صـ٣٣٤).

(٨) جواز الاستعانة بغير المسلمين عند الضرورة:

يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلمين من ذوي الأمانة والخبرة في المجال الذي يريده، وذلك عند الضرورة، ويظهر ذلك عند هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، حيث استأجر نبينا صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أريقط، وكان رجلاً مشركاً خبيراً بطرق الصحراء، ليدله على الطريق إلى المدينة.

وعلى ذلك يجوز للمريض المسلم أن يذهب للعلاج عند طبيب غير مسلم في حالة الضرورة بشرط أن يكون هذا الطبيب خبيراً بالطب وموثوقاً به عند الناس.

(٩) التعاون والمحافظة على الأسرار من أسباب نجاح العمل:

يظهر هذا الدرس جلياً في هجرة نبينا إلى المدينة حيث لم يعلم أحدٌ من الناس بالوقت المحدد للهجرة إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بخروجه وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ صلى الله عليه وسلم. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٩٢).

(١٠) الله تعالى ينصر من ينصره:

إن تأييد الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين ونصرته لهم حقيقة ثابتة منذ فجر التاريخ، ويظهر هذا بصورة واضحة عندما صرف الله تعالى المشركين عن دخول الغار الذي يختبئ فيه نبينا صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

الصديق أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة.
قال الله تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

عن أنس قال: حدَّثني أبو بكرٍ رضيَ الله عنهُ قالَ: كنتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الغار فرأيتُ آثار المشركين: قلتُ: يا رسول الله لو أنَّ أحدهُم رفع قدمهُ رآنا. قال: ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما. (البخاري حديث ٤٦٦٣).

(١١) الله تعالى يستجيب دعاء عباده المؤمنين:

ويتضح ذلك جلياً في سرعة استجابة الله تعالى لدعاء نبينا صلى الله عليه وسلم أثناء الهجرة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنهُ قال (وهو يتحدث عن الهجرة): فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهُم فقال: يا رسول الله هذا فارسٌ قد لحق بنا فالتفت نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهُمَّ اصرعهُ فصرعهُ الفرسُ. ثمَّ قامت تحمحمُ فقال: يا نبيَّ الله مُرني بما شئت قال: فقف مكانك لا تتركنَّ أحداً يلحقُ بنا قال فكان أوّل النهار جاهداً على نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم، وكان آخر النهار مسلحةً له. (البخاري حديث ٣٩١١).

(١٢) أداء الأمانات إلى أهلها ولو كانوا من الأعداء أو من غير المسلمين:

يجب على كل مسلم أن يؤدي الأمانات إلى أهلها وإن كانوا من أعدائه أو من غير المسلمين. ويتضح ذلك في هجرة نبينا من مكة إلى المدينة حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بموعد الهجرة وأمرهُ أنْ يتخلف بعدهُ بمكة حتى يؤدِّي عنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانتْ عندهُ للناس وكان رسُول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحدٌ عندهُ شيءٌ يخشى عليه إلا وضعه عندهُ لما يُعلمُ منْ صدْقه وأمانته صلى الله عليه وسلم. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٩٢).

(١٣) الإسلام يؤلف بين القلوب المتنافرة:

العقيدة الإسلامية الصافية، هي وحدها القادرة على التأليف بين القلوب المتنافرة وإزالة الحقد والكراهية والبغضاء بين الناس، ويتضح ذلك جلياً بعد هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حيث ألف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج فعاشوا جميعاً في أمن وسلام بعد المعارك الطاحنة التي وقعت بينهما لسنوات عديدة حصدت خلالها الكثير من الأرواح من كلا الجانبين. قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران: ١٠٣).

(١٤) أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم هم أفضل هذه الأمة:

ويتضح ذلك جلياً من خلال هجرتهم من مكة إلى المدينة حيث تركوا أوطانهم وأموالهم وديارهم وأهليهم من أجل الإسلام وكانوا على استعداد للتضحية بأرواحهم في سبيل الله تعالى من أجل ذلك زكاهم الله تعالى في آيات كثيرة من القرآن الكريم. قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال:٧٤).

(١٥) المرأة لها منزلة عالية في الإسلام:

أحداث الهجرة المباركة أثبتت أن للمرأة مكانتها العالية في الإسلام. ويظهر ذلك جلياً في موقف عائشة بنت أبي بكر الصديق حيث حفظت أحداث الهجرة وبلغتها للأمة الإسلامية. وتظهر منزلة المرأة في الإسلام في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق(ذات النطاقين) حيث ساهمت في إمداد نبينا صلى الله عليه وسلم وأبي بكر بالطعام والشراب أثناء وجودهما في الغار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.magalet-eltawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513